الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة منتوري- قسنطينة.

كلية الآداب واللغات.

قسم اللغة العربية وآدابها

عنــوان المذكــرة

عالمية الأدب الحدود و الآفاق

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة المــاستر.

من إعداد الطالبة:

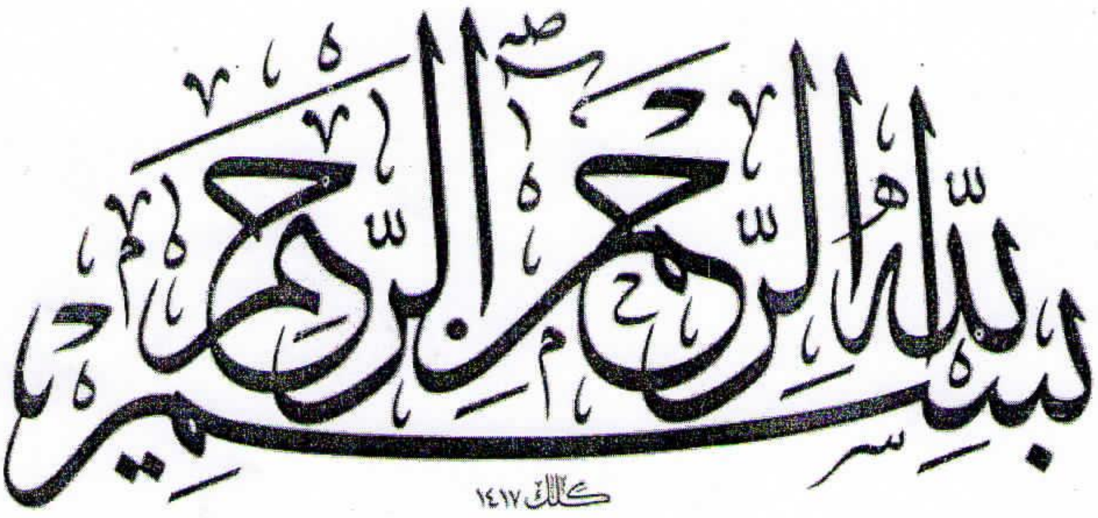
- نادية خاليد.

تحت إشراف الدكتورة:

- ليلى جبا ري

شعبة: الأدب العربي. تخصص: الآداب الأجنبية و الأدب المقارن.

مـــــــا ي 2011



" فاتحة كل خير و تمام كل نعمة "

شكـــــر و تقديــــــر

بداية أتقدم بالشكر والتقدير المرفق بأسمى عبارات الإحترام والتقدير،للأستاذة الفاضلة الدكتورة:"ليلى جباري" التي تفضلت علينا بإشرافها المتميز بدقة على خطوات هذا البحث ،وكذا إيمانها بقدرة الطالب،ونشكرها على كل المساعدات القيـــمة المبذولة التي سعت من خلالها لإخراج هذا البحث على هذه الصورة مشيدين بصبرها معنا.

ولا يفوتني في هذا المقام أنوه وأقدر مساعدة الأستاذ الفاضل الدكتور:"رشيد قريبع" الذي من علينا بالنصح و الإرشاد،والتوجيه الفاعل الذي استفدنا منه كثيرا في بحثنا هذا.

واخص بالشكر من علمني أول حرف وكل اساتذتي عبر المراحل الدراسية على العون الذي أحاطونا به،. فإليكم مني جميعا أسمى معاني الشكر والتقدير.

خطـــــة البـحث:

عالمية الأدب الحدود والآفاق

مقـدمـة

مدخل

الأدب بين القومية والعالمية

1- مفهوم القومية

2- خصائص الأدب القومي

3- مفهوم العالمية

4- أسباب عالمية الأدب

5- خصائص الأدب العالمي

الفصل الأول :عالمية الأدب من الأدب العام إلى الأدب المقارن

1- حدود الأداب

2- دور الأدب العالمي في ترسيخ الحوار الحضاري

3- مقوّمات النّص العالمي

الفصل الثاني :آفاق عالمية الأدب

2-إستراتيجيته الحوارية

3- تعزيز الأدب العالمي ونهاية أدب التخوم

4- آلام فرتر ل:غوتة نص نموذجي

خـاتمـة

المقدمـــة:

إن الحديث عن آداب الشعوب و تاريخها منذ قديم العصور لأمر صعب و شائك، فعلى الرغم من أن العديد من المؤرخين لتاريخ الشعوب و آدابها قد تناولوه في مختلف حقبه و مراحله تبقى بعض الأمور غامضة أو غير دقيقة، و تشوبها الشوائب. لأننا هنا بصدد دراسة تلاقح و اتصال الشعوب و الجماعات التي تغور بتاريخها في بعيد الزمان، جماعات تكونت و تمازجت، و عاشت ردحا من الزمن في مناطق و بقاع مختلفة من العالم لتعود و تتركها مرّة أخرى قاصدة مناطق و أقاليم جديدة.

كل هذه الوقائع وجب لنا أخذها بعين الاعتبار، و هذا ما إن دلّ على شيء إنما يدل على الشعوب دائمة التواصل و أنه لا وجود لأمة غير متواصلة بغيرها لأسباب و عوامل لا مجال لذكرها الآن، و ليس هناك من قبيلة استطاعت الحفاظ على عراقتها بعيدا عن الامتزاج و الاختلاط لا في الأزمنة القريبة أو البعيدة.

إذا كان الاتصال حاصلا لامحالة، بشكل كيفي أو طوعي، و يترك آثاره و نتائجه العضوية و البيولوجية، و الثقافية و العقلية، كذلك الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية. لقد اشتركت بعض الشعوب في آدابها، دياناتها و سياساتها، و أخرى تفردت بها و تمايزت، و هناك مراحل تلاقت خلالها و تحابت و هناك مراحل أخرى انعزلت و تخاصمت، و تباعدت و افترقت.

و خلال عصر النهضة و كذا الفترات الأخيرة من القرن التاسع عشر و العشرين سادت البلبلة في مختلف بقاع العالم بفعل التحولات الاقتصادية، و بروز مفهوم العالمية و حرية الإنسان، و هو الذي نتج عنه انطلاقة الرأسمالية التي تميزت بالبحث المنطقي عن الربح، بما أدى إلى استفحال السيطرة البرجوازية على كافة السلطات الاقتصادية و السياسية و الثقافية، و كذا هيمنت الدكتاتوريات، و نظرا لهذا الزخم القاسي من الأحداث اندفعت الجماهير لمجابهة كافة أنظمة الضيم و الاستعباد، كانت كل هذه الأحداث معالم للعالم الحديث و المعاصر الذي توزعت في ظله الطاقات توزيعا جديدا، و وسعت الحياة الفنية و الفكرية آفاقها توسيعا عظيما، لا باهتمامها بالفن و الأدب من جوانبه الجمالية فحسب، بل بإسهاماتها

في ترسيخ معالم حضارات الشعوب و الشعور بالإنسان و الإنسانية آلامها و مآسيها أينما كانت فكانت "الآداب العالمية" مرسى لباكورة الأعمال الأدبية العظمى التي خلدها التاريخ، و بالمقابل عن الأدباء و الكتاب بالبحث عن مصطلحات و تقنيات جديدة من شأنها التجديد و مسايرة روح العصر.

و قد كان أبرز ما شدني إلى هذه الدراسة هو الأحداث التي تجري وسط هذا العالم المليء بالتناقضات و صراع الإنسان و كفاحه من أجل الحصول على عيشة أفضل وسط محيط أكثر تحضرا، رغم أنه استعمل القوة حينا وعمد إلى الحوار و الحديث عن السلام حينا آخر، من خلال الدعوة إلى التعايش السلمي داخل الوطن الواحد، أو بين الأفراد و الأمم و المجتمعات مهما اختلفت أعراقها، دياناتها، و ثقافاتها...

فالعالم إلى يومنا هذا مازال يسوده التوتر في العلاقات و الأديب لازال من خلال نصوصه يسعى لتحقيق المبتغى الذي يرمي إليه الإنسان عامة. إن الحياة البشرية فوق هذه المعمورة تفرض عليها التواصل فيما بينها رغم الاختلافات الجذرية القائمة فيما بينها، لكن إلى أي مدى يمكن أن تتوقف علاقة الأنا بالآخر؟ و ما مصيرها وسط تنامي الصراعات في مختلف أرجاء العالم؟ ماذا في وسع الأديب أن يقدم كحل لضبط الهمجية و ردع الحرب و كبح جماح السلطة و الاستبداد؟ هل سيكون لهذه الأعمال الأدبية صدى وسط كل هذا الزخم؟ هل ستفتح بوابات للعالم كي تسنح له فرصة التواصل و التعرف على الآخر؟ أم ستبقى مجرد كلمات نقشت على و علقت لتزول و تندثر كما اندثرت حضارات من قبلها؟ هل ستكون جملة هذه الأعمال الأدبية جسرا للحوار بين مختلف العرقيات؟ هل ستتخطى التخوم أم ستظل حبيسة منعزلة تنتظر الفناء؟

أسهمت الآداب العالمية بشكل كبير في إلتقاء الآداب القومية المختلفة بجملة من نواحيها الثقافية و الفكرية و الحضارية مما أدى إلى التأثيرات المتبادلة و ولد ضرورة الإقبال على دراستها بقصد التعرف على ما يطرأ على الثقافات الأصلية من تغيرات نتيجة احتكاكها.

هكذا ظهرت تسمية "الآداب العالمية" التي ربطت بين الفنون و الآداب الإنسانية فامتزجت و تفاعلت مع بعضها البعض و أفرزت معارف و فنونا و آدابا جديدة، كما قربت بين الشعوب في سائر أنماط الحياة، فكان بذلك كل أدب بمثابة هوية لأمته.

لا مواربة أن الآداب العالمية تساهم في مسح الحدود بين الطروحات الفكرية و ذلك عن طريق فتح الأبواب الموصدة و تقريب الأفكار من بعضها البعض و إزالة الفوارق فعالمية الأدب هي شكل من أشكال الحوار الحضاري المدعم بالدليل العقلي المستمد من الفن باعتباره وسيلة حضارية يمكن أن تشكل بذرة المشروع لإزالة التعصب قصد تحقيق أسلوب الحوار حول أمهات المسائل الثقافية، فللحوار دور قاعدي في تقريب وجهات النظر في ميادين شتى حتى بين الأقطاب السياسية العالمية.

لقد حملت "العالمية" في طياتها جدلا كبيرا و انحصرت بين مؤيد و معارض، الأول باعتباره بابا مفتوحا أمام جملة الأعمال الإبداعية التي تحمل هدف الأدب الأسمى الذي لا يأبه بالحدود، و الثاني يرى في الآداب القومية تراثا و حضارة و عرقا و جلها تمثل هوية الأمم و ثقافاتها و بالتالي لا يمكن طمسها في تلك الثقافات المتعددة التي ولجت عبر بوابة الآداب العالمية من كل حدب و صوب.

نظرا لكل ما سبق اخترت بحثا عنوانه "عالمية الأدب الحدود و الآفاق سأحاول أن أبين الدور الريادي لهذه الآداب العالمية التي تدعو إلى تعزيز استراتيجية الحوار و ضرورة الانفتاح، و الابتعاد عن مرض الطائفية و الانعزالية و اللاحوار الذي يشل الطاقات و المواهب الفكرية الأدبية الإبداعية التي تخدم الإنسانية كما انعكست في هاته الأعمال الأدبية العالمية التجربة الخلاقة للأجيال المتعاقبة و الغنى اللامحدود، إنها خطوة حضارية أن يصل الإنتاج الثقافي إلى هذا المستوى، و قد حاولت أن أمايز و أجلوا تلك المفاهيم و أخوض فيما يتصل بالوجه التقدمي و الإنساني في الأدب، فيما يتصل بصلب الحاضر و يقارب الآفاق المنظورة.

العالمية إذن سعي لإذابة الجليد و خلق تواصل قد يكون سببا في القضاء على النزاعات و سأحاول في بحثي هذا أن أعرض لأهم أسباب العالمية و مظاهرها في المجال الفني و الأدبي باعتماد منهجية تنظيرية و مقاربة تطبيقية، فمهدت لموضوعي بمدخل تناولت فيه المفاهيم النظرية المتعلقة الآداب القومية و العالمية و خصائص كل منهما، ثم انتقلت في الفصل الأول و تحدثت عن عالمية الأدب من الأدب العام إلى الأدب المقارن بما في ذلك دور الأدب العالمي في ترسيخ الحوار الحضاري و الأسس التي يقوم عليها النص العالمي.

أما الفصل الثاني فعرضت فيه آفاق عالمية الأدب و ينضوي تحت هذا العنوان استراتيجية الحوارية وفيها عرضت طريقة الحوار بين الأنا والأخر، إضافة إلى تعزيز الأدب العالمي و نهاية أدب التخوم وقد وظفت هذا العنصر لأدعم فكرة العالمية الأدبية التي تهدف التي لا تأبه بالحدود هذه الأخيرة التي من شأنها أن تعيق سبل التفاهم بين الأمم والمجتمعات بأفكار متزمتة ، لأعرض في نهاية المطاف نص نموذجي من بين الأعمال النموذجية التي كان هدفها الأسمى خدمة الإنسان و الإنسانية في قوالب فنية رائعة جعلها ضمن جمهورية الأعمال المتوجة عالميا.وختمت بحثي بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد واجهتني بعض العقبات شأني شأن أي طالب باحث لكني استطعت تخطيها بعد الاطلاع على ما تركه الأدباء و النقاد من كتب و أبحاث و مقالات نوقشت و حللت في هذا المجال، ذلك يعني أنني لست الوحيدة ممن طرقوا باب البحث في هذا الصدد،لكنه مع ذلك مازال يحتاج إلى دراسات آمل أن يتطرق إليها الباحثون من بعدي.

وفي النهاية لا يفوتني أن أتوجه بشكري وتقديري إلى أستاذتي المشرفة"ليلى جباري".

والله ولي التوفيق.

المـــــــــــــــدخـــــــــل

مفهوم القومية

خصائص الأدب القومي وحدوده

مفهوم عالمية الأدب

عوامل وأسباب عالمية الأدب

خصائص الآداب العالمية

الأدب بين القومية و العالمية:

إن الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا يتأثر بالمجتمع و يؤثر فيه، كان لزاما عليه أن يتعايش مع الظروف و الأحداث التي تواكب ركب الحياة بأفراحها و مآسيها، و يعبّر عن أحداثها و ما يختلج في قرارات نفسه و كانت وسيلته في التعبير عن كل ذلك هي الأدب.

لكن إحساس الإنسان يختلف من فرد إلى آخر، فهناك نوع يبقى أسير مجتمعه منحصرا في بيئته و آخر يفتح أفاقا واسعة أمامه، و لا يجعل شعوره بمجتمعه حبيس حدوده، بل يكون دافعا قويا لإحساس بهموم الإنسان و الأمة، مهما إختلف اللون و تباعدت البيئات و تنوعت المشارب و تعددت الألسنة و الديانات. و هذا الإحساس يكون أكثر فاعلية لدى الكتاب و حملة الأقلام لاسيما إذا كانوا بناء بيئة قاسية، و قد تجسد ذلك خاصة في مضمون الأدب الواقعي. إن العالم بأسره الغربي و العربي على حد سواء يعيش زحما كبيرا من التغيرات و هو في صراع دائم عبّر عنه الأدب منذ الأزمنة الغابرة.

فالأدب بقدر ما هو فكر جميل لكونه رؤية شاملة و عميقة للإنسان و مشكلاته و أحلامه و آماله، فهو في الوقت نفسه حاجة من حاجاته النفسية و الاجتماعية التي لا حياة له بدونها، إذ يتواصل من خلاله مع سائر أفراد المجتمع.

كما أنه أبرز وسيلة تعبر عن الأمم و المجتمعات وذلك جزء لا يتجزأ من الإطار الحضاري و الثقافي للمجتمع، ما يجعلنا نتعرف على الأيديولوجيات المختلفة لسائر الأمم، لأن الأدب ما هو إلا انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص في ثقافة معينة و فترة زمنية معينة ،و هو كذلك مؤشر من المؤشرات الهامة لنوعية الحياة و مستوى الرقي و التحضر في المجتمع.

دون أن ننسى القول بأن الأدب ينطوي على قدر كبير من الأهمية و ما يؤكد قولنا هذا دوره في التنويه بالمنجزات الحضارية و أثره في الحركات الفكرية و الاجتماعية للشعوب،و دوره البارز في مسار الأحداث الإنسانية الكبرى فهو أداة تواصل و تفاعل بين الإنسان و الإنسان،

و هو في الوقت نفسه أداة الفكر و الوجدان و العالم الذاتي الرحيب. لكن أول ما نشير إليه هنا هو انقسام الأدب إلى فلقتين على الرغم من هدفه الأسمى الذي يدعو إليه ، أدب قومي و آخر

عالمي وهو الأمر الذي جعل الأدباء و حملة الأقلام يتمايلون بين هذا و ذاك.
إن المنطق السّليم يقتضي احترام القيم الحضارية و الثقافية للأمم و المجتمعات لأن كل منها يمثل هوية مجتمعه ،و النّزاهة تقتضي رفع الحيف و الضيم عن الأدب دون محاباة أو تمييز و إعادة الإعتبار له في رفع الحياة الاجتماعية و ذلك بتحريره أولا من الاتجاهات السياسة و توجيهه ثانيا نحو آفاق الإبداع و التطور الصادق الأصيل، و المواكبة الجادة لحياتنا والتفاعل مع مختلف قضايا العصر.

و يدعو هذا إلى ضرورة إنشاء علاقة و بناء جسور الحوار لأنه و مما لا شك فيه أن قافلة التغيير دائبة التحرك ديدنها السّير قدما في تموج جماعي مطور للعقول، فلا حياة لأمة تعزل نفسها و تعتزل غيرها و تبني أسوارا حولها ففي ذلك إثبات لانسحابها من العصر و المجتمع بدل الإنتماء إليه، فنحن بذلك لا نحمي الهوية القومية لأنه لكل بلد مؤرخين يؤرخون له شئنا أم أبينا، أحببنا أم لم نحب فإذا عدنا إلى الواقعية الاشتراكية في روسيا على سبيل المثال و إذا عدنا إلى كتابها وجدنا أنهم عبروا عن مآسي الشعب و أحزانه انطلاقا من واقعهم المرير، داعين إلى التحرر من أغلال اللّيبرالية و الطبقية و التمييز و زيادة الوعي الإنساني في العالم بأسره ،و التنديد بضيم الاستدمار الذي قضى على الشعوب، كل ذلك من غير أن تطمس الهوية الروسية ؛فالغرض من ذلك و قبل كل شيء إنساني بالدرجة الأولى و هو الأمر الذي خلّده عبر الأزمنة و العصور من خلال صورة درامية لشعب عانى الويلات،الأمر الذي جعله يتصدر جمهورية الأعمال الأدبية المتوجة عالميا.

لا ضرر إذا تأثرنا بغيرنا فنحن بدورنا عامل يؤثر و يتأثر، و إذا كنا غير ذلك فسوف نبقى لا محالة في ركود و تشلّ طاقتنا المادية و الروحية و جهودنا الفكرية و الأدبية و حياتنا بكل تجلياتها الثقافية و السياسية و الاقتصادية بشكل يهدد تاريخنا و حضارتنا ؛فعار على الكتاب

أن يميزوا بين هذا و ذاك و أن ينحازوا إلى القومية أو العالمية لأن الهدف الأسمى هو خدمة الإنسان و الإنسانية في قالب فني رائع و لذلك وجب استمرار الاهتمام بالفائدة الاجتماعية والأخلاقية .

و هكذا فإن الأديب هو ابن عصره و طبقته، و الأدب تعبير عن التطورات الاجتماعية و الاقتصادية في العصر ذاته و في خضم المعارك و الصراعات و الطبقية لا يستطيع الأديب أن يقف موقف المتفرج و أن ينقطع و يذهب إلى التأمل ، و إنما هو مطالب بالتجاوب لنشدان الأمور المرجوة.

و مع ذلك فإن الحديث عن إشكالية القومية و العالمية و ما طرحته من قضايا نقدية و فكرية يستلزم تحديد دلالة هذين المصطلحين لا سيما و أنهما عرفا جدلا كبيرا و واسعا، الشيء الذي نتج عنه تقسيم الأدب إلى قسمين أدب قومي، أدب عالمي. فما هو الأدب القومي؟ و ما هو الأدب العالمي؟ و ما علاقة الأدب القومي بالأدب العالمي؟

1/مفهوم القومية:

لغة: القومي مأخوذة من **(قوم)** المنتمي إلى مبدأ القومية

- و القومية مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها.**(1)**

- و القومية صلة اجتماعية وجدانية تنشأ من الاشتراك في الوطن و الجنس و اللغة، و قد تنتهي بالتضامن و التعاون كالوحدة القومية العربية.**(2)**

نستخلص إذا أن القومية هي شعور أي فرد كان و في أي مجتمع كان بالانتماء إلى ذلك الوطن ،و الإخلاص لكل مكتسباته مرورا من السّلف إلى الخلف،فقد عاشت الشعوب منذ قديم الزمان في أقليات وعلى شكل قبائل عند العرب، و بعضها الآخر اتخذ شكل مماليك و إمبراطوريات غلب عليها طابع التشدد و الانطواء على الذات ،و استعباد الشعوب و هو ما عبّر عنه الأدباء في كتاباتهم والشعراء في أشعارهم، و كذا التاريخ الذي يروي لنا الأحداث الإنسانية الكبرى و مدى تفاعل الإنسان معها و تأثره بها ولربما كان سبب ذلك الخوف من زوال ثقافاتها و عاداتها و تقاليدها إثر اختلاطها بغيرها من الدول بعد تزاوج الحضارات. و أبرز مثال لنا على ذلك ألمانيا التي مثلت دورا تاريخيا في وحدتها، إذ يقول ساطع الحصري:" بأن تاريخ الوحدة الألمانية من أهم و أمتع صفحات التاريخ في القرون الأخيرة، لأن ألمانيا كانت في العقد الأخير من القرن الثامن عشر منقسمة إلى 360 وحدة سياسية مستقلة بعضها عن بعض استقلالا مطلقا".**(3)**

ما نلحظه هنا هو الانقسام الكلي لألمانيا تحت دويلات و إمارات صغيرة يحكمها رؤساء و دوقات لكنها استطاعت فيما بعد رأب الصدع ولم الشمل تحت لواء **"ألمانيا الموحدة"**، حيث:" أن عدد هذه الوحدات السياسية يقل شيئا فشيئا بسبب اتحاد و اندماج بعضها مع بعض ... أعني إلى الدولة الألمانية الموحدة توحيدا تاما".**(4)**

1/المنجد الأبجدي :ط 2،المؤسسة الوطنية للكتاب /الجزائر،دار المشرق - بيروت - لبنان - 31ايار 1967م،ص821
2/المعجم الوجيز (الميسر):ط 1 دار الكتاب الحديث - الكويت -1444هـ -1993م.ص
3/ابن خلدون ساطع الحصري:محاضرات في نشوء الفكرة القومية،ص27
4/المرجع نفسه:ص27

إلا أن الآداب و الفنون و العلوم كانت ترتقي فيها إلى درجة عالية من التقدم و الازدهار و لها مفكرون عظام أمثال: **غوته، شيللر، هيجل، كانط**.....

كما لم يكن هم أدبائها و مفكريها الالتفات إلى السياسة و ما يخص العالم الخارجي لكنهم سرعان ما بادروا إلى ذلك بمجيء الثورة الفرنسية و الحملات النابليونية التي قوبلت كما يقول ساطع الحصري: " بحماس و استحسان في محافل المفكرين في جميع أنحاء ألمانيا لأنها بدت لهم كفاتحة عهد جديد في تاريخ البشرية سيتضمن الحرية لجميع الأفراد و لجميع الأمم".(1)

لكن هذه النظرة لم تدم طويلا فسرعان ما تحولت النظرة الفرنسية بخطبها الرّنانة إلى حشد الجيوش لخوض المعارك مستسلمة بذلك لأطماعها و كانت ألمانيا نصب أعينها و الهدف الأول لإشباع رغبتها. مستغلة انقسامها وهو ما ولد ردة فعل لدى الألمان حيث:" صار الكل يشعرون شعورا واضحا بأن هذه الرّزات كانت من نتائج فقدان الوحدة القومية، وضعف الروح الوطنية".(2)

هنا برزت هبّة قوية من طرف الأدباء و المفكرين الذين صوّروا هذه المشاهد و المآسي على رأسهم **فيخته** الذي تعتبر خطبه من أهم النصوص الداعية لبث روح التضحية و الأدب الحماسي المحفز للنفوس؛ لقد امتزجت القومية مع النزعة الإنسانية السامية باسم الوطنية و الإنسانية في آن واحد إلى أن تحققت وحدتها الفعلية.

القومية فكرة وجدت منذ القدم و لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا بدليل بحث العرب عن إرساء قواعدهم تحت لواء القومية العربية لأنها أساس لكل دولة تحاول أن تبني أمجادها كما لاحظنا عند الألمان. و هناك نماذج عدة لا تعد و لا تحصى إذا فالأنا، يحاول دائما المحافظة على قيمة الأصيلة من غير أي تغيير يذكر.

لقد كانت القومية الألمانية مثالا طيبا بتحقيقها الرقي و الازدهار في مجال الآداب و الفنون و العلوم ،كما أنها استطاعت بوحدتها أن تستعيد كيانها سياسيا باندماج تلك الدويلات تحت لواء واحد لمحاربة الأطماع الفرنسية.

1/أبو خلدون ساطع الحصري:محاضرات في نشوء الفكرة القومية،(سبق ذكره)،ص28-29
2/المرجع نفسه،ص30

إن القومية فكرة تولّد قوة عظيمة تستجيب لها النفوس خاصة الأدبية منها فتتفتق منها القرائح،والعبقريات و يكتب النّبراس أبهى النصوص التي تدعوا لدعم الوطنية، والمضي قدما لنحت حضارة أمجاده و بطولاته و رفع التحديات و كسب الرهانات و الإسهام الفاعل في صنع حضارته الإنسانية.

2/ خصائص الأدب القومي:

لقد سبق و أن أسلفنا الذكر بأن القومية تتغنى بأمجادها و تتمسك بأيديولوجياتها ولا تخرج عن نطاق حدودها جغرافية كانت أم أدبية فإذا ما عدنا إلى الأدب مثلا وجدنا الأدباء و الكتاب يتحدثون عن هموم أوطانهم أو أحزانهم أو مشاكلهم اليومية و قد يعبرون أحيانا أخرى عما يختلج في أنفسهم من مشاعر الفرحة أو الكآبة داعين إلى محاكاة القدامى من السلف منتهجين المنهج ذاته و في كثير من الأحيان و البعض الآخر يرى بأن قيمته جمالية (الأدب) لا تتعدى بذلك بأكثر أو أقل مجسدة إما عبر المسرح المبهج للجماهير و الذي طالما عهدناه الممثل الرئيسي للطبقة الراقية و البرجوازية عبر مراحل الزمن الغابرة، أو عبر قصص و روايات تكتب لأغراض ترفيهية بغرض الإهدار من الوقت و الاستمتاع من غير الالتفات إلى الجديد الذي أنتجته الحضارات الأخرى إلاّ أنّ القومية أتت بثمار إيجابية في كثير من الأحيان بدعوتها إلى المحافظة و الأصالة و الإبقاء على كل ما اكتسبناه منذ القدم. و لعل أبرز خاصية أساسية تميز الأدب القومي هي:

- **اللغة** "إذ تعد من أهم الروابط التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس لأنّ اللّغة هي أولا واسطة التفاهم بين الناس، و ثانيا آلة التفكير عند الفرد، و ثالثا واسطة نقل الأفكار و المكتسبات بين الآباء و الأبناء، من الأسلاف إلى الأخلاف".**(1)**

إذا تعتبر هذه الأخيرة وسيلة أساسية من أجل التواصل، كما أنها رمز الأمة الواحدة و القوام الأساسي للوطن بحق لذا وجب الحفاظ عليها ، يقول أيضا :"لهذا نجد أن وحدة اللغة توجد نوعا من الشعور و التفكير و تربط الأفراد بسلسلة طويلة و معقدة من الروابط الفكرية

1/أبو خلدون ساطع الحصري:محاضرات في نشوء الفكرة القومية (سبق ذكره)،ص21

و العاطفية و تكون أقوى الروابط التي تربط الأفراد بالمجتمعات". **(1)**

فاللغة هي التي تربط أواصر الأمة الواحدة و تجعل تواصلها سهلا، و إذا سهل التواصل تقاربت الأفكار و الآراء إلى حد التوحيد تقريبا و أبرز دليل لنا على ذلك اللغة العربية التي كانت متداولة في القديم و كانت مشتركة بين العديد من الأقوام و القبائل دامت لقرون طويلة من الزمن و لم تحل إلى ملف النسيان لا لشيء إلا لأنها مغمورة بالكلمات التي تنبض بالحياة فقد أبهر شعرها الجاهلي العالم بقدرة شعرائه على اكتساب اللغة و تمكنهم من امتلاك ناصيتها و قدرتهم على توظيف الكلمات " فاللغة ليست وسيلة التخاطب و التفاهم و حسب، و إنما هي قبل كل ذلك كله و بعده، الفكر في أحد تجلياته، ذلك أن اللغة ليست مجرد ألفاظ لا يدخل إليها دفء و حرارة الحركة، و إنما هي هذا الفيض من العواطف و الأفكارو الأحاسيس التي تستقر قبل أن تستقر الألفاظ و الكلمات و الألسنة". **(2)**

لقد أحاط أدباء القومية عناية فائقة باللّغة فعبّروا عن كل مستجداتهم في الحياة.

- أما الخاصيّة الثانية التي ميزت الأدب القومي هي **الاهتمام الشديد بالأحداث المحيطة بهم داخل حدود قومياتهم**، فهم لا يتطلعون ما وراء التخوم بل يمجدون ملوكهم و أمراءهم و يتبعون خطى سابقيهم من الأدباء ظنا منهم أن الخروج عن ما جاء به السلف هو خير من الحداثة المظللة، لقد ظلّ كتاب القومية يحاكون القدماء و يكتبون على نهجهم، يمدحون الملوك قصد التكسب ضاربين صفحا كل ما يدعوا إلى التجديد و مواكبة السير الحضاري خاصة و أن الأدب سفير يتغنى بحضارة بلاده،

- كما أن الأدب القومي يرى في **الأدب الوافدة إليه من الحضارات الأخرى أفكارا مطعمة بأيديولوجيات خبيثة و سامة** هدفها القضاء على مقوّمات الأمة و أسسها و أمجادها و المساس بهويتها و عاداتها وتقاليدها

1/أبو خلدون ساطع الحصري:محاضرات في نشوء الفكرة القومية،(سبق ذكره)،ص21

2/مجلة المعرفة العددان191- 192،وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - الجمهورية العربية السورية،كانون الثاني/ شباط1978م،ص06.

"........هي هذه الروح التي تسري في أعماق الأفراد فتؤلف منهم جماعة و تكون لهم وحدة، و ترد ما تناثر منهم إلى أصوله الكبرى".**(1)**

نستشف إذا أنه من بين سمات الأدب القومي رفض الآداب الوافدة إليه عبر القارات المختلفة من بقاع العالم بحجة عدم الانصهار و ثقافات الغرب الغير مستقلة خصوصا و أن القوميات تعنى بحضاراتها العريقة الضاربة بجذورها في أعماق سحيقة من الزمن.

و كذا **الالتزام بالقضايا الوطنية وكل ما يدخل ضمن أطره الجغرافية**، لكنه يتخطاها في بعض الأحيان سيما وان كان هناك رابط جامع كاللّغة مثلا كما الحال بالنسبة للعرب تجاه القضية الفلسطينية فمهما ابتعدت المسافات إلاّ أن رابطا عجيبا يجمعها و يفوح برائحة القومية التي تحمل الإخلاص و الوفاء ، لكن مع الأسف أضحت الكتابات في هذا الشأن - مجرد حبر على ورق و شعارات و أقوال لا أفعال - بحيث "يتجلى

جانب من مشكلة أدبنا الوطني و الاجتماعي في أنه ينبع من عواطف وطنية و اجتماعية دون أن يستند إلى أساس صلب من الأفكار المتبلورة و لذلك نراه ينقلب إلى شعر مناسبات تسمع جعجعته و يرى طحنه".**(2)**

و من مميزات الأدب القومي أيضا الدعوة للعودة الموروث لا سيما في العصور المزدهرة و المحافظة التامة على الطريقة التقليدية كما هو الحال بالنسبة إلى الشعر الذي مازال يعنى من طرف الادباء بالابقاء على وحدة البيت و الموضوع و القافية و الروي، العناية في مجال التعبير بالجزالة و المتانة و الصحة اللغوية.إن هذه المميزات بيّنت جدارة الأدب القومي في الحفاظ على أصالته و حضارته؛ لكن أليس من المفيد أيضا الإطلاع على ثقافة الأخر؟ أليس على الكتاب أن يفيدوا ويستفيدوا ؟أم تراهم يأبون مسايرة الركب العالمي و أداء رسالته السامية في التعبير عن الواقع و المعاناة في الحياة التي ذاق شعبها الويلات

1/مجلة المعرفة:العددان191-192(سبق ذكره)،ص08،عن شكري فيصل ،مناهج الدراسة الأدبية في الادب العربي،ط03 1973م

2/حسام الخطيب :ملامح في الأدب والثقافة واللغة،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق -1977م،ص

الحقيقية؟ أليس على الأديب القومي مسايرة عصره؟ فالأصالة ليست مجرد تشبث بالقديم و تميز وانما هي اتضاح لشخصية المبدع و الأديب.و كل هذا لن يتأتي له إلا من خلال سمات خاصة تمثل خلاصة عناصر باقية في روح الأمة و طبيعتها و شتى مقوماتها في الفكر و الثقافة و الحضارة.

إنه لمن الواجب على الأدب القومي أن ينهض و يستفيق و يعطي كل ذي حق حقه، يقول أحد الدارسين "ليس لقدم العهد يفضل القائل و لا لحدثان عهد يهضم المصيب و لكن يعطي كل ما يستحق". و هذا القول يعني أن لا مفاضلة بين قومي أو عالمي إنما تبنى الأحكام على فنيات العمل الأدبي، و مسايرته لروح العصر فجوهر النص من جوهر القضية و هذا أيضا لا يعني أن نهدم كل ما جاء به القدامى، و إنما هي محاولة و بادرة طيبة لتطوير الأدب ضمن متطلبات العصر و حاجاته مع الارتكاز على التراث باعتباره الأرضية و المنطلق معا،و كل بعد ذلك يبدع و يهب له إمكانيته و تجربته الحياتية و الثقافية و بهذا نكون قد وفينا حقه في المسايرة الحاضرة ضرورة لا مفر منها و التواصل كذلك بدليل الانفتاح على مختلف الحضارات و الثقافات و التعرف على الآخر كذلك وارد عبر وسائل الاتصال الحديثة التي لم تترك بعيدا أو قريبا إلا و ربطت بينهما و هو بذلك مجبور على أمره حتى إن لم يستطع، لكن عليه أن يقوم على مراعاة الأسس الفنية و المعرفية العميقة لطبيعة الإنتاج الفني و مقدار استجابته للمجتمع أصالته الفكرية.

3/ مفهوم العالمية:

إن التميز بين المصطلح العالمي و نظيره عالمية الأدب لا يبرز دائما فهما بنفس المعنى خصوصا لدى غير الباحثين في مجال الدراسة الأدبية، و حري بنا أن نقر بأن كلمة عالمية أو عالمي فتحت أبواب الدراسات المقارنية على مصراعيها لأنها عبرت عن أدب قوميات مختلفة مكنت الإنسان من التعرف على مجتمعات أخرى فنقلت صورتها في قوالب فنية مثيرة تغذي العقل و تمتع الإنسان. و كان الأدب لها حقلا خصبا تمظهرت فيه الأحداث التاريخية الناقلة للوقائع التي تجري في حياة الشعوب.

لكن مع ذلك يستوجب علينا إبراز و إجلاء معنى الأدب العالمي من عالمية الأدب:

أ- فالأدب العالمي هو: "تجارب الآداب العالمية بعضها مع بعض و أن تتوحد جميعا في أجناسها و أصولها الفنية و غاياتها الإنسانية، حيث لا تبقى من حدود سوى اللغة و ما يمكن أن توحي به البيئة و الإقليم".**(1)**

و قد كان هذا الاقتراح للكاتب الألماني غوته إلا أنه بعيد كل البعد كي يجسد على أرض الواقع، يقول غنيمي هلال في هذا الصدد: "... فكرة الأدب العالمي في رأينا مستحيلة التحقيق ذلك لأن الأدب قبل شيء استجابة للحاجة الفكرية و الاجتماعية للوطن و القومية ، وموضوعه هو تغذية هذه الحاجيات".**(2)**

و الاستحالة هنا أنه من غير الممكن أن تتحد الأعمال الأدبية في النمط و الأسلوب و الجنس، لأننا بذلك نكون قد أغلقنا المنافذ التي يتطور من خلالها الأدب و يساير ركب المجتمع و حاجات الوطن و الإنسان و الإنسانية، و الأدب العالمي في كتاب غوته يتعلق خاصة في رغبته بتوسيع دائرة الأدب الألماني الذي كان يتهم بأنه محلي منغلق على ذاته سيما و أن ألمانيا كانت من أكبر الدول الداعية إلى القومية في حقبة تاريخية من الزمن "فالآداب القومية أولا ،و خلود الآثار الأدبية لا يأتي من جهة عالمية دلالتها و لكنه ينتج عن صدقها و تعمقها في الوعي الوطني و التاريخي و أصالتها الفنية في تصوير آمالها و آلامها النفسية و الاجتماعية المشتركة بين الكاتب و جمهوره".**(3)**

إذا فمحلية الأدب الألماني جعلت غوته يغوص ببصيرته قصد إيجاد نقلة نوعية للأدب الألماني خاصة إذ يقول:" اذا لم نرى نحن الألمان بأبصارنا إلى ما وراء محيطنا الحالي فإننا سنقع بسهولة ضمن الزهو المتعجرف أحب أيضا أن أستخبر عن الأمم الأجنبية، و أنصح كل شخص أن يفعل ذلك من جهته ،إن كلمة أدب قومي لا تعني شيئا كبيرا اليوم إننا نسير نحو الأدب العالمي و يجب على كل شخص أن يسهم في تسريع قدوم هذا العصر".**(4)**

1/محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن ،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع أكتوبر2004م،ص93

2/المرجع نفسه،ص93

3/المرجع نفسه،ص94

4/دانييل هنري باجو:الأدب المقارن،ت:غسان السيد،من منشورات اتحاد الكتاب العرب،1997م،ص29

وهو تعبير صريح يدل على محاولة غوته لإخراج الأدب الألماني من قوقعته و التحليق به في سماء العالمية، من هذه النظرة التي أعادت هيكله عنوانها برزت تسمية "عالمية الأدب" بإجماع من الكتاب و الأدباء و الدارسين.

ب- و عالمية الأدب:" في معناها هو الخروج من حدودها القومية طلبا لكل ما هو جديد و مفيد تهضمه و تتغذى به و استجابة لضرورة التعاون الفكري و الفني بعضها مع بعض، لها أسس التي تحدد سيرها".**(1)**

نلمس في هذا التعريف جانبا من روح غوته في محاولة لإخراج الأدب الألماني خارج الحدود الوطنية القومية لكن الاختلاف الواضح يكمن في طلب الأدب العالمي لكل ما هو جديد و مفيد بغرض موافاة روح العصر و شتان بين الأدب العالمي وعالمية الأدب، فالأول يهدف إلى توحيد الأجناس و الأساليب الأدبية تحت لواء عالمي، والثاني يحاول نشدان الإفادة من الثقافات الأخرى الوافدة من كل حدب و صوب لكن الفكرة التي جاء بها غوته كانت طيبة فتحت أبواب موصدة و وسعت النظرة على آفاق رحبة حتى ولو كانت من باب فضول الإطلاع على الآخر و على حركة العصر الجديد. رغم كونه يعيش آخر أيام حياته، لم تمنعه بصيرته الحادة من التعرف على ملامح العصر الجديد.

و لا يفوتنا أن ننوه بأن العالمية قد انحدرت من حاجات سياسية و ثقافية بالغرب و خصوصا الجزء الأوروبي.والعالمية لفظة قديمة تنامى مدلولها بظهور بوادر النهضة في العصر الحديث حيث شغلت جوانب شتى من حياة الإنسان الاقتصادية و الثقافية و السياسية و الاجتماعية و الأدبية...الخ.و نضرب مثلا خاطفا لدلالته القديمة "ففي فن الشعر أشار أرسطو إلى مفهوم العالمية بوصفه مرادفا للعام إذ يقابل الخاص و رأى تلك العالمية من خصائص الشعر في مقابل التاريخ بمعنى أنّ العالمي يكمن في تصوير الشّعر للإنسان كما يمكن أن يكون أو كما لا بد أن يكون أو كما هو كائن بالفعل....... هذه هي العالمية التي يسعى إليها

1/محمد غنيمي هلال:الادب المقارن (سبق ذكره)،ص94

الشعر من خلال الأسماء التي يمنحها للأشخاص بمعنى أن العالمية تشير إلى الثابت أو الجوهري الذي لا يتغير و الذي يكون بالتالي عالميا".(1)

أما دلالته الجديدة فأصبحت شائعة الاستعمال و متداولة بشكل أكبر إذ تعنى بالعلاقات بين سائر الأمم و الشعوب في مختلف الميادين متخطية كل الحدود التي من شأنها أن تشكل قيدا أو عائقا يصعب تجاوزه، إذ تدعو هذه الأخيرة إلى الانفتاح على باقي الأمم ولم الشّمل فيما بينها و كذا خلق الحوار و نشر الأفكار الساعية لخير البشرية برمتها باعتبارها تخص القيم و حقوق الإنسان و الثقافة.(2)

لقد أصبحت العالمية مفهوما شائعا بين الأوساط الإنسانية حتى في مجال الأدب، فبحلول "منتصف القرن التاسع عشر انطلق الألماني جوته من ذلك الترادف بين العالمي و الجوهري فقال: إنّ تناول الشعر لموضوع من موضوعات الواقع يقتضي نقل ذلك الموضوع من الخاص إلى العام أو العالمي".(3)

و من خلال هذا الرأي الذي أبداه جوته في كتابه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" أو "ديوان الشرق و الغرب" كما يسميه البعض الآخر اتضحت معالم ولوج الأدب إلى العالمية.

و العالمية بالنسبة للأدب:"هي حالة من الانتشار و الأهمية يكتسبها هو و الناتج الثقافي بشكل عام حين يخرج عن حدود الإقليمية أو الوطنية و يصبح معروفا أو مقروءا في مناطق أخرى من العالم لكن العالمية أيضا "قيمة جوهرية في الأدب تحددها معايير معينة لا يخلو تعيينها أحيانا من الأيديولوجية، فالأدب نتاج لغوي يحقق قيمته العالمية من خلال اللغة التي أنشئ أو كتب بها، أو اللغة تمكن من دخولها إلى الترجمة".(4)

لقد كانت سمة "الأدب العالمي" لـ: يوهان فولفغانغ بمثابة المفتاح أو الانطلاقة المثلى أن صح القول للدرس الأدبي المقارني لأنها تحمل في طياتها تاريخ الشعوب بجملة نواحيها الحضارية الثقافية و كذا عاداتها و تقاليدها المسافرة عبر الأدب الذي يمثل سفيرها الأمثل

1/ميجان الرويلي،سعد البازغي:دليل الناقد الأدبي،ط05،الناشر المركز الثقافي المغربي الدار البيضاء- المغرب - 2005م،ص186

2/علاء زهير الرواشدة،المملك الأردنية الهاشمية،2007م،ص22

3/ميجان الرويلي، سعد البازغي:دليل الناقد الأدبي(سبق ذكره)،ص22.

4/المرجع نفسه،ص187

المار بين مختلف البلدان و القارات، تاركا بصماته و آثاره محدثا بذلك تلا قحا و تزاوجا عن طريق التأثير و التأثر معرفا بهويته و لغته ،و إن كانت ترجمة أعمال أدبية إلى لغات مختلفة خاصة تلك التي لها انتشار واسع كالانجليزية و الفرنسية لا تعني دخوله إلى العالمية و ولوجه ضمن جمهوريتها فهناك عديد من الانتاجات الأدبية التي ترجمت إلى مختلف اللغات لكنها لم تعرف الصدى بالقدر المطلوب و الملبي لحاجات العصر. هنا تتضح سمة الأدب ذي المستوى الرفيع الإنساني الجوهري الذي يعلو كعبه عن الحدود الجغرافية و القومية ممثلا في **"روائع الأدب العالمي"** أو **"مختارات من الأدب العالمي"**. و بظهور العالمية أيضا برزت صراعات و إشكاليات بين الأدباء و الكتاب في الكتلتين العربية و الغربية لا من حيث قضية الأدب العالمي و عالمية الأدب فقط بل تعدتها أيضا إلى التشكيك في مصداقية عالمية هذا الأدب خاصة من حيث التحيّز و كذا التدخل السياسي و المعتقدات الدينية و الأيديولوجيات المتضاربة و لنا في هذا المجال حديث.

لقد حملت العالمية بظهورها حملة شرسة على الرغم من سعيها المشكور في محاولة بعث روح جديدة للأدب إذ سرعان ما دبّت الخلافات داخل الأوساط الأدبية التي انقسمت من مؤيد و معارض، فقد شهدت هذه الأخيرة نظرة انتقادية عربية و غربية على حد السواء.

تأسس مفهوم "الأدب العالمي" بادئ الأمر على يد الأديب و الكاتب الألماني يوهان فولفغانغ فون غوته في أواخر أيام حياته في كتاب تحت عنوان "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" و قد تمخض ظهور هذا المؤلف من حياة الشاعر وحده بصيرته و قدرته على رؤية العالم و حبه للإطلاع الواسع و الرحلات. لقد كانت حياة هذا الأخير تمثل زخما من الأحداث التي فتقت عبقريته الأدبية و التي استطاعت أن تبرز سمته النابعة من التعبير الحر و حب الوطن الذي تخطاه فيما بعد داعيا إلى العالمية " ففي واحدة من المطارحات الأخيرة التي تجاذب أطرافها غوته مع أكرمان أبلغه غوته فيها وصيته السياسية على النحو الآتي:

"إذا شاء الأديب ممارسة التأثير السياسي يجب عليه الالتزام بحزب من الأحزاب و اعتناق مبادئه ،وحين يقدم على هذا العمل فإنه يضيع كشاعر إذ عليه يقول تحية الوداع لعقله الحر ولنظراته الشاملة غير المتحيزة.....سوف من شأن الأديب بوصفه إنسانا و مواطنا أن يحب

وطنه الأم، لكن وطن طاقته الشعرية و تأثيره الشعري هو قيم الخير و النبل و الجمال، و هذه لا ترتبط بإقليم معين و لا ببلاد معينة بل هي قيم يعمد إلى اعتناقها و التمسك بها و تشكيلها حيثما يجد أنه في ذلك يشبه النّسر الذي يحلق في الأعالي، و فوق البلدان بنظرته الطليقة".**(1)**

إن هذه النظرة جعلت من غوته أديبا بحق لأنه لا يرى في الأدب سياسة أو تحيّز. إنما هو رأي كاتب و شاعر يمتاز بالحرية و الطلاقة في رأيه و ليست من منظور قريب ،إنما تخطى الحدود القومية إلى العالمية.

حيث امتدت نظرته لتشمل ترابطات من تاريخ العالم فهو من قال بأن "الأدب مشترك للبشرية جمعاء" فوضع المفهوم الاصطلاحي **"الأدب العالمي"** و بهذا أعلن في برنامج يعود تاريخه إلى شهر آذار 1830 ما يلي:" عندما يتسنى لمثل هذا الأدب العالمي أن يتشكل عما قريب ،و هذا أمر لا مفرّ منه في عصر السرعة المتزايدة الاتصالات".**(2)**

و هذه دعوة صريحة من أجل وضع الأدب العالمي كبداية مشروع يواكب روح العصر من غير انتماءات و لا تحيّزات و من المنطلقات القومية التي سافر صداها إلى مدى أبعد، يقول: "و لو نظرنا إلى المسألة بدقة، إنه عالم لم يعد معطى لنا إلا بقدر ما تمنحه التربية الأهلية .... فإن هذا العالم الرحب سوف يقدم نفسه على سبيل الاستحسان في كافة المناطق"**(3)** لقد لاح في هذا الأفق نور أبداه غوته على الأدب في وقت كان فيه:" عالم الأدب الفرنسي فيلمان يلقي محاضراته حول علاقة الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية الأخرى مدشّنا نوعا جديدا من الدراسات يعرف بـ:"الأدب المقارن".**(4)**

1/بيتر بورنر:غوته، ت:د ـاسعد رزوق،سلسلةاعلام الفكر العالمي المعاصر،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ،فبراير 1975م،ص177-178.

2/ بيتر بورنر:غوته،(سبق ذكره)،ص188.

3/المرجع نفسه،ص.188.

4/عبده عبود :الأدب المقارن مشكلات وآفاق ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ1999م،ص81.

و بعد مرور الزمن و بعد دراسات عميقة غيّرت تسمية الأدب العالمي إلى عالمية الأدب على اعتبار أن التسمية الأولى صعبة المنال و التحقيق على أرض الواقع، لكن الأهم من ذلك أن الاثنان قد شكلا ثنائيا خدم الدراسات الأدبية الأوّل كونه يقصد أسمى و أرقى الروائع المختارة من الأدب العالمي، والثاني يعمد إلى الدّراسات التي من شأنها أن تبيّن مواطن التأثير و التأثر، الأخذ و العطاء بين مختلف الدول و البلدان مميزا بذلك كل حضارة عن أخرى بشرط "أن تعرى من كل معنى جمالي، و أن تأخذ معنى تاريخيا فقط، و أن الوقوف على أوجه الشبه و الخلافات من خلال كتابين اثنين أو أكثر أو من المشاهد و المواضيع في لغات مختلفة،و هي ليس سوى نقطة انطلاق من شأنها أن تسمح باكتشاف بواعث التأثير و الاقتباس ... الخ".**(1)**

و قد أصبح بذلك كل منهما واضح الأسس و المعالم أدى كل منهما دوره في ميدانه الخاص حيث تربطهما علاقة وطيدة على أساس أن كل منهما مكملا للآخر. بغض النظر عن مواقف الأدباء و المدارس التاريخية النقدية. لقد اتسمت العالمية بحدة و تنامي الصراعات حول ايجابياتها و سلبياتها خاصة و أنها أصبحت جمهورية للأعمال الأدبية الوافدة من مختلف البلدان و المتعددة الأجناس و العرقيات و قبل أن تلج العالمية إلى الأدب كان لها صدى كبير خاصة في جوانب: السياسية، و الاقتصاد التي لاتقوم طبعا إلاّ من خلال علاقات مع بلدان مجاورة أو غير مجاورة. لكن الأمر يختلف مع الأدب لأنه مع مرور الزمن سينصهر مع ثقافات البلدان الأخرى باعتبار الآداب الأخرى منبع الأيديولوجيات و المعتقدات و المقدسات الدينية التي من شأنها التأثير على حضارات و ثقافات أخرى و قد مثّل هذا الرأي طائفة من الأدباء سيما العرب الذين هم في صراع مستمر مع الغرب و مبادئه و أسسه و مفاهيمه.

لقد كانت نظرة العرب تجاه الغرب قائمة على الشعور بالدّونية سيما و أن الغرب متقدم في مجالات شتى لكن هل هذه النظرة سليمة؟ أليس صحيحا أن الغرب أبدع و قدم؟ ألم يكن له السبق و الرّيادة في كل شيء تقريبا علم،و تكنولوجية، وثقافة؟ ألم يأتي له كل هذا من خبرة و

1/بول فان تيغم:الأدب المقارن،ترجمة سامي مصباح الحسامي،منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ص181

ذكاء و قوة صبر واطلاع؟ أم على العرب النّقد اللاذع و قرب النظر و عدم إثبات الوجود بمسايرة الركب بشكل أفضل. أما أن لهم أن يستفيقوا و يكفوا عن سذاجة تصوراتهم تجاه الأجنبي، ألا يستوجب عليهم الأمر الأخذ بالايجابيات و ترك السلبيات. نحن لا نقول بأن ننغمس في حضارتهم و نذوب فيها لكن يجب أن نستفيد و نفيد و ننتبه على ما هو دخيل لا يتماشى و تصوراتنا أو حضارتنا.

مجّد العالمية فئة من الكتاب و نبذها آخرون لأنهم رأوا فيها معاني التحيّز و الأيديولوجيات و النظرة اللّيبرالية و كذا الهيمنة التي تحتم عليها البقاء تحت راية الأقوى و الكتابة وفق متطلبات و حاجات السياسة الحاكمة و نبذ الأضعف. "وهذه الهيمنة من خارج الثقافة سواء كانت مستمدة من مجال التكنولوجيا أو الاقتصاد أو القهر السياسي".**(1)**

و يرى البعض أمثال ميجان الرويلي و سعد البازغي "أن الغرب كرّس دلالة العالمية بوصفها لصيقة بما يصدر عنه أو يتصل به. ففي الثقافة الغربية يشيع استخدام عبارة أدب عالمي. للإشارة إلى الأدب أو الآداب الغربية".**(2)**

ثم يعقبانها بالقول" نتبين أن العالمية تشير إلى (الغرب) تحديدا مستندين إلى عبارة نشرت في مقدّمة الاختيارات التي نشرتها "دار فورتون الأمريكية عام 1956 م بعنوان "روائع العالم" تقول "أن روائع العالم مختارة من الأدب الغربي.....و بعد إيضاح أن الأدب الغربي يشمل أدب العبرانيين القدماء بما في ذلك الكتاب المقدس بعهده نزولا إلى اليونانيين ثم الأدب الأوروبي الوسيط و ما تلاه حتى العصر الحديث تشير المقدمة إلى أنها استثنت آداب الشرق الأقصى".**(3)**

و الواضح أن الكاتبان يوليان اهتماما شديدا بمعنى العالمية و مدى تكريس مفهومها من طرف الغرب. و الجليّ لنا أيضا امتعاضهما من استثناء الشرق الأقصى كما يذهبان الى تعريف العالمية في الثقافة العربية المعاصرة فيقولان :"تشيع في الأدبيات العربية المعاصرة

1/علاء زهير الرواشدة:العولمة والمجتمع(سبق ذكره)،ص69

2/ميجان الرويلي،سعد البازغي:دليل الناقد الادبي(سبق ذكره)،ص187.

3/المرجع نفسه،ص187

رؤية تؤكد أن العالمية ميزة أدبية رفيعة تنبع من المحلية أي ارتباط الكاتب بالمكان و الثقافة التي ينبع منها. و العالمية بهذا المفهوم قيمة جوهرية يرتفع الأدب بتحقيقها و ينتشر في العالم أجمع"(1). لكن ألم نجد هذا المفهوم ينطبق عند الغربو عند العرب بدليل ما قاله غوته عن الأدب "إذا شاء الأديب ممارسة التأثير السياسي يجب عليه الالتزام بحزب من الأحزاب و اعتناق مبادئه و حين يقدم على هذا العمل فإنه يضيع كشاعر إذ عليه أن يقول تحية الوداع لعقله الحر و لنظراته الشاملة غير المتحيزة سوف من شأن الأديب بوصفه إنسانا و مواطنا أن يحب وطنه الأم، لكن وطن طاقاته الشعرية و تأثيره الشعري هو قيم الخير و النبل و الجمال، و هذه لا ترتبط بإقليم معين و لا ببلاد معينة".(2) فالحقيقة تقول أن الأدب الغربي هو الآخر أتى بروائع أكثر مما جاء بها الأدب العربي أو غيره و أن معقل القوة يكمن لدى العرب ليس من باب الهيمنة أو السيطرة و إنّما من باب الإبداع و التفوّق الأدبي فإلى متى نظل نبرر ضعف و وهن أدبنا بسلطة الغرب و تمجيده لأدائه و كتّابه ليس في مجال الدراسات الأدبية و المقارنية فحسب بل حتى في تفوقه التكنولوجي و العلمي.

عوامل وأسباب عالمية الأدب:

لقد مثل الأدب طيلة قرون طويلة من الزمن خير رسول لنقل حضارات أمم و معالجة مختلف ملامح و مظاهر الحياة فيها الآن "الأدب مؤسسة اجتماعية أداته اللغة، و هي من خلق المجتمع و الوسائل الأدبية التقليدية، كالرمز و العروض،وهي اجتماعية في صميم طبيعتها، إنها أعراف و أصول لا يمكن أن تبزغ إلا في مجتمع"(3).

" أضف إلى ذلك أن الأدب يمثل "**الحياة**"، و الحياة على أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعية... و الشاعر نفسه عضو في وضع اجتماعي معين"(4).

فهو لا يحاول أن ينظر و يكتفي بمجرد السّرد الوصفي الذي تنقله الأحداث و الكتب

1/ ميجان الرويلي،سعد البازغي:دليل الناقد الادبي(سبق ذكره)،ص188-189

2/ بيتر بورنر:غوته،(سبق ذكره)،ص177.

3/رينيه ويليك ،اوستن وارين :نظرية الأدب،ترجمة محي الدين صبحي،ص97

4/المرجع نفسه،ص97

التاريخية،و إنما يحلّل تلك الحضارة بإبراز ثقافتها و بنائها الاجتماعي، فقد اعتنت طائفة كبيرة من الكتاب و الأدباء والباحثين في مجال الدروس الأجنبية و الأدبية المقارنية بدراسة الثقافات و الأبنية الاجتماعية من خلال الآداب الوافدة من الأمم الأخرى،و هو ما جعلها تكتسب ألوانا طيفية إثر التأثير المتبادل و التلاقح المستمر و الدائم للشّعوب في البلدان المختلفة.

لقد عرّف الأديب عن هوية المجتمع الذي يعيش فيه و حضارته العريقة و عبّر الأدباء عن مراحل ازدهارها و أصولهاوبصمتها المتروكة في الأدب العالمي إلى يومنا هذا، فقد تبادلت الشعوب الآراء و الأفكار، و تعرف الأنا على الآخر المجهول من خلال النّصوص الأدبيّة المتمايزة إلا أن هناك نصوص متشابهة إلى حد كبير يظهر أنّها قد لمست نوعا من التلاقح و التزاوج فيما بينها من خلال التبادل و ظاهرة التأثير و التأثر و بالتّالي انتقلت الآداب القومية فأثرت على غيرها و تأثرت بغيرها و هو ما جعلها ترتقي و تتوج فيما بعد إلى مستوى العالمية، وتتناولها العديد من الأمم لا سيما تجديدها لا جماليتها لأنها تعدت ذلك إلى معالجة القضايا الإنسانية ،و سعت إلى خلق الحوار بين الأفراد و المجتمعات سياسية كانت أم دينية أم أدبية و كذا محاولة خلق مجتمع أفضل يعيش فيه الإنسان بهدوء و سلام.

لقد تهيأ للأدب الجو الملائم للتطور بأن توافرت له مجموعة من العوامل و المسببات التي مهدت و فتحت له الباب الواسع على مصراعيه من أجل الظهور تحت راية "الأدب العالمي" إذ تناولها العديد من الأدباء و الباحثين في مجال الدرس الأدبي المقارني أمثال : بول فان تيغم، و غنيمي هلال، و ماريوس فرانسوا، غويار... و غيرهم.و يجمع الكل على أن طبيعة الاتصال و ظروفه هي التي ساعدت تلك الآداب بالولوج إلى العالمية عن طريق وسائل لا حصر لها بدءا من الفتوحات و الحروب، فالتنقلات الفردية الجماعية و العلاقات الشخصية من مظاهرات و غيرها من ألوان التعايش و التساكن و كذلك المبادلات التجارية و الرّحلات العلمية و حركات الترجمة و ما إليها مما يحوي الروابط و يبعث على الأخذ و العطاء.

انه من باب الأمانة أن نقف على هذه العناصر الهامة التي كان لها الفضل الكبير و السبق في تتويج الآداب ذات النزعة الإنسانية و التي نقلت إلينا و إلى العالم بأسره أحداث عاشها الإنسان و عايشها عبر فترات زمنية معينة،و كان كلّ نص منها ممثلا لقومية شعب من

الشعوب بثقافته العريقة و كنوزه الأدبية الثمينة التي أغنت المكتبات الغربية و الشرقية على حد سواء.

سبق أن قلنا بأن العوامل المفضية إلى عالمية الأدب و تخطيه لحدود القومية يرجع إلى أسباب تبناها بالدراسة العديد من الأدباء و لا يخفى ذلك على أحد فقد احدث عنها أكبر و أبرز الأساتذة في حقل الأدب المقارن و أرجعوها إلى عوامل عامة و أحرى خاصة.

أ- العوامل العامة لعالمية الأدب:

يرى محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن بأن العوامل العامة لعالمية الأدب لا تتناول الأدب من جانبه الفني و الجمالي بل تعنى بالطابع الفكري و المضموني له و هو ما بعد ذلك في العوامل الخاصة، تتمثل هذه العوامل في:

1/ استياء النخبة من الأدباء و الكتاب من تدهور مستوى الأدب القومي و شعورهم بتدنيه ، يقول محمد غنيمي هلال:" إن شعور ذوي المواهب الناضجة بعدم كفاية أدبهم القومي للاستجابة لحاجات عصرهم و هي نقطة البدء في التأثير و التجديد، و هي تمثل ممل الكتاب و الشعراء، للمألوف من تقاليد أدبائهم و صوره الفنية و هذا الملل هو سبب خروج هؤلاء الشعراء من نطاق أدبهم طالبا للتجديد من الآداب الأخرى".**(1)**

و سبب هذا الوهن في الأدب القومي هو المحافظة على نفس ما جاء به القدماء و تقليده تقليدا أعمى و هو ما لم يستوفي متطلبات العصر الجديد، و بالتالي يجب أن يواكب الحياة و يسير معها لا أن يقف موقف المتأمل الذي يبني أحلامه في عالم الخيال فالأدب ليس فنا فحسب و إنما واجب تجاه الإنسان و الإنسانية أولا و قبل كل شيء ،عدى عن ذلك كله حمل الأدب القومي للترهات و الخرافات و الأفكار الخاطئة التي تلائم أذهان النّاس في فترات مرت كل

1/ محمد غنيمي هلال:الادب المقارن (سبق ذكره)،ص99.

هذا ولد لدى الكتاب هبة قوية للثورة على القديم و العمل على إصلاحه و طلب المفيد و الإيجابي لا كتابة الأساطير في آلاف مؤلفة من السطور يقول جوته "ينتهي كل أدب إلى الضيف بذات نفسه إذ لم تأتي إليه نفائس الآداب الأخرى لتجدد الخلق من ديباجته"**(1)**.

و هي دعوة صريحة إلى الإقبال على الجديد ليس على حساب القديم بل إصلاحه وفق ما تتطلب الحياة و المجتمع و هو ما يجلي لنا الهدف الأسمى للعالمية التي تدعو على الإبقاء على الأصالة مع استحداث كي لا تقضي على ما ورثناه و لا تتوقف عن التسيير.

صحيح أن الآداب الوافدة من الحضارات الأخرى تقضي على مورثاتنا القومية لكن هي لا تدعوا إلى ذلك ،و إنما هي دعوة إلى تحسين نمط الأدب و الابتعاد عن نهج القديم خاصة من الترهات و الأساطير التي ظل الناس يصدقونها إلى وقت قريب لو لم يزرع فيهم الأدباء في العصر الحديث أفكارا و آراء تلغي الجانب الخاطئ من حياتهم. لكن الصراع ما فتئ أن ظهر بين المؤيدين و المعارضين فهناك من اتبع القديم و حاول اجتناب كل ما هو جديد و وافد من البلدان الأخرى، و فئة ترى بأنه واجب مواكبة روح العصر لأن الحياة تستمر بأحداثها و وقائعها و بالتالي على الأدب أن يسايرها. و مع هذا الصراع أليس من الواجب أن يوحد الأدب و يتفرد عن الانعزالية و الطائفية و الانشقاق. يقول غنيمي هلال :"و في المعركة بين القديم و الجديد...إذ ليس في المعركة تعادل بين الفرقين على أن دعاة الجمود من هؤلاء كثيرا ما يكونون من الهرمين عقلا و ثقافة يدافعون مع ذلك بحججهم البالية و لا تلبث أن تتجلى المعركة عن انتصار الجديد على يد من دعائه".**(2)**

2/و فيما يخص العامل الثاني من عوامل عالمية الأدب فهو الهجرات اذ يعد من أبرز الأسباب، فقد شهد العالم صراعات و أحداث تاريخية ميزها أحيانا كثيرة الضيم و الاستدمار والاستعباد. هذا ما أدى بالناس و الشعوب إلى الهجرة من بلدانهم إلى بلدان أجنبية أخرى فتولد عن ذلك التأثير و التأثر و تبادل للأفكار و الآراء، فتزاوجت النّماذج الأدبية و تعددت و

1/محمد غنيمي هلال:الادب المقارن (سبق ذكره)،ص99.

2/المرجع نفسه،ص 101.

أبرز مثال لنا على ذلك هو أدب المهجريين العرب الذين اتجهوا نحو الأمريكيتين، بلدان الأمريكية الشمالية و بلدان الأمريكية الجنوبية مجبرين و مضطرين لأسباب سياسية اجتماعية و اقتصادية، و كانت الأندلس أيضا من أبرز أمثلة الهجرة و التقاء الحضارات و تمازج الأجناس فيها. فهي تتألف من عناصر متعددة و متباينة أشد التباين على أصولها البشرية و الثقافية، و هو ما أكسبها حضارة قوية و عميقة فشرب الناس و غرفوا من سلوكات بعضهم البعض و عاداتهم و تقاليدهم مع المحافظة على الديانات و المقدسات "و بعد سقوط الأندلس في أيدي الأسبان استقر المهاجرون على الجنوب الأمريكي و كونوا (العصبة الأندلسية) في تلك المدرسة المحافظة على التقاليد العربية الموروثة فأثرت في أدباء جنوب أمريكا و تأثروا بهم".**(1)**

إذن فالهجرة ظاهرة قديمة وجدت مع وجود الإنسان منذ الأزل و مع اختلاف الناس في أفكارهم و آرائهم و انتقالاتهم من أمة لأخرى جعلها من أبرز العوامل الرئيسية، إن صح القول على عملية التأثير و التأثر على الآداب العالمية بالإضافة إلى العاملين السابقين نجد العامل الثالث المتمثل في:

3- الحروب و انعدام الاستقرار و هو عامل لعب دوره بشكل كبير فقد عاش العالم بأسره لحظات عصيبة ناتجة عن عدم الاستقرار السياسي و ضعف بعض البلدان التي صارت عرضة فيما بعد إلى الاستعمار و الاغتصاب و الاستغلال بكافة أشكال الضيم و الاستعباد لكن الحروب كانت لها فاعليتها فقد نقلت الجيوش و المستوطنين إلى الأراضي المحتلة و اختلطوا بأصحاب الأرض و عرفوا مقدساتهم و تعرفوا على تاريخهم و عاداتهم و بعضهم الآخر هاجر من بلدانهم من الاستعمار و المستعمر "فقد تكون الحروب المدمرة و المشؤومة ثنّية الأثر من جهة الإخصاب العقلي بإتاحة فرص التأثير والتأثر بين الآداب"**(2)**.

لقدفاضت القرائح الأدبية بشكل رائع جدا إذ راح كتاب و أدباء تلك الحقب يسردون الأحداث

1/محمد رمضان الجربي: الأدب المقارن،ص60

2/رامي فواز احمد المحمودي :النقد الحديث والأدب المقارن،ص126

التاريخية في قوالب فنية رائعة مكسوة بالتلاقح البشري الذي شكل لوحة من الفسيفساء الأدبية الرائعة فقد جاءت كلها لخدمة الإنسان و الإنسانية و عبرت عن مدى كره المواطنين للعيش في ظل القهر و العبودية و برفضهم للغنى مع الاستعباد.

يقول غنيمي هلال " الحروب الصليبية أعطت انعكاسا على الآداب العالمية فالصليبيين أخذوا انطباعا على العالم العربي و الإسلامي، و تأثروا بأفكاره الفنية و الاجتماعية و الأدبية فحاكوها و نقلوها إلى شعوبهم و صوروها و أثرت في فنونهم و آدابهم كما تأثر العالم الإسلامي بآدابهم و فنونهم و أحوال معاشهم و تقاليدهم".**(1)**

حيث سيطرت القوى الصليبية على مناطق عديدة من بقاع العالم بما فيها الأندلس مهد الحضارات لذا كان من الطبيعي أن تزيد مثل هذه الأحداث من توثيق العلاقات بينهم.

يشير غنيمي هلال إلى عنصر آخر كان له دوره في إحداث التواصل بين الأفراد و المجتمعات ألا و هو الغزو، إلا أن هذا العنصر قد ولى زمانه و هو ناجم عن الحروب في كثير من الأحيان، أما العناصر السّالفة الذكر فلا زالت تضفي بمميزاتها على الأدب بشكل كبير ليس فقط في ميدانه فحسب بل تتوسع بنشاطها إلى ميادين شتى سياسية اجتماعية، اقتصادية و تؤتي بثمارها سواء كانت إيجابية أم سلبية و على العالم بأسره من شرقه إلى غربه و من شماله إلى جنوبه.

و إذا كان الأمر كذلك فما تفسيرهم إذ قال الأستاذ الكريم الدكتور محمد شكري عياد "لعل الكلمة التي يمكن أن تعبّر عن طموح هذا الجيل في معنى "التغيير" -لا مفهوم له- هي كلمة "العالمية". و لكنه طموح العاجز فالعالم لا يقرؤونا و نحن نعلم ذلك، و نعلم أيضا في قرارات أنفسنا السبب في إعراضه أنه -حتى الآن- لا يجد فيما نكتبه ما يستحق القراءة فللعرب أحباب من الغربيين ترجموا الكثير من كتبهم، و لكن كتابا واحدا من هذه الكتب هو الذي راج بين القراء الغرب، كتاب لم نتلمذ فيه لأحد من كتابهم "ألف ليلة و ليلة". ثم يذهب ليقول "...مَن من شعراءنا الشبان لا يقلد اليوت الذي لم يقرأه، أو قرأ له قصة قصيرة

1/ محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن (سبق ذكره)،ص33-34

مترجمة من الأهرام. و قد أعقب ذلك قائلاً "و القوى النزاعة إلى الثبوت في ثقافتنا العربية كانت دائما فوق خافتة الصوت إذا قيست بقوى التغيير".(1)

إلى أي يوم سينتهي هذا الجدال العقيم حول العالمية و سلبياتها و نقدها أما آن لنا أن نقف بأدبنا و نسمو بها إلى أبعد ما هو عليه بدل أن نتجادل و نتصارع حول أمور ثانوية و غيرنا يسير؟أما آن لنا أن نتجنب تلك النظرات النقدية اللاذعة و نقف موقف دون المتأمل الحالم الذي يأبى مغادرة حلمه و غيرنا يتطور و يبدع نصب أعيننا.دون أن ننسى أن كل أدب قومي يحمل في ثناياه نزوعا إلى العالمية، و هذه العالمية لا تنفى له خصائصه و مميزاته.

هذا ما يعني أن الآداب العظيمة تؤثر و تتأثر عن طريق الاحتكاك بالغير، فمن غير المعقول أن تذوب حضارة تواكب عصرها، تصحح أخطاءها و تستفيد من غيرها تجدد من حياتها قصد الاستمرارية و التأقلم مع الواقع المعاش فكما يقال: الأمم تنفعل و تتفاعل و هذا يفسر ظهور الأدب المقارن الذي هو محاولة لدراسة هذه العلاقات.

ب ـ العوامل الخاصة لعالمية الأدب

سبق و أن أسلفنا ذكر العوامل العامة التي كان لها دورها في إنشاء تواصل اجتماعي أدبي فكري أدى في نهاية المطاف إلى تلاقح الآداب و اغترافها من مناهل الأمم المختلفة في الأفكار و الأساليب و أنماط الحياة بعاداتها و تقاليدها و كذا أيديولوجياتها و عقائدها و مقدساتها و بجانب هذه العوامل نشأت و ترعرعت عوامل خاصة كان لها هي الأخرى دورها الأكثر فاعلية و قد كان السبق و الريادة في تناول هذا الجانب لأساتذة أجلاء أفنوا جهودهم من أجل التوصل للأسباب المؤدية إلى فتح الطريق و تمهيدها أمام الأدب ليرتقي من القومية و بخروجه من قوقعته المحدودة و معانقته للعالمية و انطلاقا من العوامل العامة التي أدت بالمجتمعات إلى التواصل و الارتباط ظهرت كوكبة من الكتاب و المولدين من الغرب و العرب، فخلفت من هذا الاتصال نماذج أدبية متمايزة أحيانا و متشابهة أحيانا أخرى، و اجتمعت لهذا الخلق مجموعة من العوامل تتمثل فيما يلي:

1/ الكتب: كانت الكتب المصدر الأمثل الذي ينهل من العام و الخاص و لازالت إلى يومنا

1/شكري محمد عياد:الأدب في عالم متغير، ص17 - 18

هذا، فقد نقلت الكتب أهم الأحداث التاريخية التي عاشتها أية أمة من الأمم خلال الحقب الزمنية الغابرة و ألف الأدباء كبا تعبر عن نمط حياتهم المعايش و كذا عن أحاسيسهم. والكتب تنطوي على قدر من الأهمية و نحن لا نجادل في ذلك إذ لطالما نقلت الكتب ما عاشته الشعوب في سير حياتها من أحدث و عبرت عن محيط أمتها بينت مستوياتها السياسية، الفكرية، الأدبية، الاقتصادية و الاجتماعية و من أبهى عصورها إلى غاية ضعفها و اضمحلالها شيئا فشيئا إلى اندثارها. أن الكتب ملمة بأبسط الأشياء عبر المراحل، الأزمنة، و العصور.

يقول غنيمي هلال في إطار الدور الفاعل للكتب:" و تظهر هذه الأهمية في النواحي التالية: الإلمام بالمعارف اللغوية التي تعرفها أمة عن أمة أخرى مع شرح ما قد يكون لها من دلالات أدبية اجتماعية و هذه نقطة البدء في تأثيرها، إلى مالها بعد ذلك من دلالات نفسية و فنية".(1)

بالفعل فهذه الكتب ساعدت دارسي الأدب المقارن و بشكل كبير يسر لهم الطريق و فتح أمامهم المجالات لمواصلة الدرب و معرفة مدى تأثير الأمم في بعضها و تأثيرها بعضها البعض.

و أبرز مثال في هذا الصدد هو الحضارة الأندلسية العريقة التي لازالت تعنى بالدراسات إلى يومنا هذا إذ أثرت في الوافدين إليها من كل حدب و صوب منذ الفتوحات الإسلامية، و لم تتنكر لأصولهم و عقائدهم المتنوعة بل تركت لهم الحرية في ذلك إلا أن تأثيرها لم يكن عن المستوى فحسب بل كان لها تأثير عميق من خلال آدابها التراثية في الآداب الأوروبية – الجنوبية خاصة – من بينه إيطاليا و فرنسا. كما أثرت في اللغة بشكل واضح أيضا، و هذا يبيّن لنا مدى عمق الصلات بين الأمم و الشعوب و التزاوج الكبير للمجتمعات العرقية الذي أدى في نهاية الأمر إلى ظهور مصدر قوة و خلق و ابتكار على الرغم من محاولة البعض إلغاء الدور الفاعل الذي لعبته حضارة الأندلس الإسلامية بتأثيرها في غيرها و الدليل محاولة

1/ محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن (سبق ذكره)،ص103

إحراق الكتب التي كانت تحويها المكتبة الأندلسية، و إن بحثنا في هذا الصدد لطال بنا المقام خاصة و أن الأندلس مرتع كل الحضارات و الأمم.

يتحدث غنيمي هلال عن علاقة التأثير و التأثر بين الأدبين العربي و الفارسي على المستوى اللغوي و إذا تتبعنا و تقصينا صور العلاقات بين الأمم و الحضارات لوجدنا أنها لا تعد و لا تحصى كالفارسية و التركية، و اتجاه الأتراك نحو الحضارات الغربية و مسالك الحضارة العربية نحو الغرب و تأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية و ما إليه من العلاقات.

2/أما العامل الثاني فيتمثل في الترجمة و ازدهار حركتها. لقد كانت عاملا فعّالا و وسيطا تواصليا أثبت جدارته في نقل الأدب من أمة لأخرى و في تعريف شعب بآخر و هو ما ساعد الدراسات المقارنية كثيرا فكانت بذلك مجالا خصيبا للتعرف على الحضارات و الآداب الأجنبية التي تجد فيها مواطن الاختلاف و التشابه أثر العلاقات التي وثقت الصّلات بين الأمم و في أبعاد بقاع العالم.

لقد كان للترجمة أثر كبير في تعريف الأمم بإنتاج غيرها فاشتهرت مدارس المترجمين التي كانت تضم عددا منهم و الكل يعمل على نقل الثقافات و ما جادت به القرائح أدبية أم غير أدبية إلى مختلف اللغات و خصوصا الأعمال التي تنطوي على قدر كبير من الأهمية.

لقد حوّلت الترجمة حضارات الأمم و الشّعوب آدابها إلى قرية صغيرة يتعرّف عليها العام و الخاص لا من خلال السفر و الانتقال إليها طلبا للمعرفة كما فعل الفحول من الأدباء و الكتاب الرحالة الذين تكبّدوا عناء السفر و مشاقه من أجل طلب المعرفة و الاستزادة من العلم كل هذا من خلال عامل الترجمة الذي وفر في العصور الحديثة كل ذلك.

و بعد الاحتكاك و الاختلاط الذي اتخذ شكل الزواج و المصاهرة أو الجوار و المعاشرة، أصبحت فئة من الناس تتقن لغة غيرها من الأمم و هو ما أدى إلى ظهور عناصر جديدة بعضها يقوم على أساس الدم و البعض الآخر يقوم على أساس التأثر الثقافي و الحضاري و هاته الفئة عرفت فيما بعد باسم "المولّدين"، الذين اكتسبوا الكثير من ملامح و عناصر الثقافات كاللغة و العادات و أنماط السلوك و كان من نتائج ذلك كله ازدواجية اللغة حينا و تعددها أحيانا أخرى و هذا بدوره يكشف لنا عن مدى قوة التواصل و الاحتكاك الذي أتاح الفرص الكبيرة لتلاقي الآداب و تلاقحها.

و الترجمة الحقيقية تقتضي وجود القائمين عليها في هذا المجال و قد ثبت وجودها بدليل الترجمات الوافدة إلينا من جميع الأمم و المجتمعات منذ العصور القديمة، إذ تحدث الدكتور غنيمي هلال عنها متطرقا إلى كليلة و دمنة انطلاقا من الفارسية إلى العربية "فمنذ أن اختفت الترجمة الفهلوية أصبحت الترجمة العربية لابن المقفع هي الأصل الذي نقلت عنه كل الترجمات بعدها و الطريق لأن تصبح الترجمة العربية هي الأصل للترجمات الفارسية بعد ضياع الترجمة الفهلوية*".(1)

فبعد انقطاع الأصل أصبحت الترجمة العربية هي أصل لكتاب كليلة و دمنة هنا ظهرت ترجمة أبي المعالي نصر الله محمد عبد الحميد الكاتب الذي أهداها للسلطان بهرا مشاه فعرفت هذه الترجمة باسمه "كليلة و دمنة"، بهرامشاهي و كانت تلك في القرن السادس هجري".(2)

تلتها بعد ذلك ترجمة عربية أخرى ففي نهاية القرن التاسع قام حسين واعظ الكشفي بعرض جديد لترجمة أبي المعالي نصر الله، و غيّر فيها و بدّل و أهداها إلى الأمير الشيخ أحمد سهيلي أحد الأمراء في عهده و نسبها إليه فعرفت باسم أنوار سهيلي".(3)

ثم انطلقت ترجمات أخرى لهذا الكتاب منها الترجمة الفرنسية لـ جون دي لفونتين و هذا بعد اطلاعه على ترجمة واعظ الكشفي خاصة أنه كانت تستهويه الحكايات على لسان الحيوانات، التي اتخذها الكتاب فيما بعد كشكل أدبي و فني و وسيلة لنقد الأوضاع الاجتماعية المعاشة بالإضافة إلى ترجمات أجنبية أخرى اسبانية، و كلها وقفت على القيمة الكبيرة للكتاب و أدركتها لأنها تضع أوضاع اجتماعية في قوالب فنية ممتعة و شيقة تدرك ببصيرة و ذكاء لماح. و كيف لنا أن ننسى النصوص الملحمية التي خلدت أحداثا تاريخية هامة مرت بها البشرية وان كانت مغطاة بجانب من الغموض في ترجمتها و طريقة نقلها التي شابتها بعض

***الفهلوية** :هي المرحلة الوسطى في تاريخ اللغة الفارسية،و كانت لغة الفرس في عهدا لدولة الساسانية،و هي الدولة التي انتهى أمرها بظهور الإسلام

1/طه ندا : الأدب المقارن،ص152

2/المرجع نفسه،ص152

3/المرجع نفسه،ص152

الشوائب. لكن لا يغفل على أي دارس أنها كانت بمثابة همزة الوصل و رسالة حضارية تروي حوادث و مغامرات جرت في حياة البشرية و قد ترجمت هذه الأخيرة إلى العديد من لغات العالم و تأثر بها العديد من الكتاب و حاكوها و نالت أعمالهم شهرة كبيرة تعدت حدود القومية الإيطالية إلى العالمية.

كانت الترجمة منذ بداية ظهورها خير وسيط لفتح الأبواب الموصدة و تبين الآفاق أمام الدراسات المقارنية التي تستوجب إظهار انصهار الثقافات و الحضارات في بعضها البعض ازدادت حركة الترجمة تطورا و ازدهارا خاصة في عصر النهضة و التنوير نظرا لتوافر الطباعة و النشر ،و قد عرفت آنذاك بظهور الثورة الصناعية التي عملت بكد و جد في هذا الجانب من دون ملل أو كلل و كانت ألمانيا قد شهدت هي الأخرى حركة في الترجمة التي واكبت عصر النهضة و التنوير و واكب ذلك ظهور الكتابات الروائية الأدبية لـ: غوته و يمكن أن يقال بشكل أدق أن هذا العصر الذهبي يتوافق زمنيا مع حياة غوته من سنة 1749 إلى سنة 1774 م لقد بدأ تثيره بالخارج بعد أن مهدت له الطريق بعض المؤلفين السويسريين الألمان بنشر فرتر لجوته سنة 1774 م و منذ ذلك التاريخ استثمرت ألمانيا في الفكر و الأدب".(1).

لقد كانت ألمانيا تحمل هي الأخرى أروع كوكبة فنية مكنتها من ولوج العالمية فترجمت أعمال كثيرة لكتابها و فلاسفتها أمثال شيللر، و الآخوين شيلجل و الفيلسوف فيخته الذي كان له دور كبيرا في إخراج ألمانيا من أزمتها إثر الحملات النابليونية التي كادت أن تقضي على أسسها و مقوماتها القومية و كذا الفيلسوف هيجل.

3/و ثالث عمل هو الوسطاء: الذي يفترض أن تتوفر فيهم عوامل تؤهلهم إلى القيام بنقل الثقافات بصيغة نزيهة و نظيفة و أمنية، و من بين هذه العناصر:

1/فيرنرب فريدريك،ديفيد هنري مالون:حدود الأدب المقارن،ت:د.عبد الحكيم حسان،ص447

- أن يكونوا من ذوي الإلمام الواسع و الاطلاع الكبير على ثقافات الغير.

- و كذا إتقانهم للغات و تحكمهم فيها، لأنه و مهما كانت هناك ترجمة أو هجرة أو حروب أو علاقات إلا أنها تستوفي كل الشروط الملائمة لأن النصوص الأدبية تقتضي ترجمة صحيحة و غالبا ما تكون تلك المؤلفات تحتوي على الأخطاء أو نقصان و مليئة بالشوائب و هذا ما يستدعي العودة إلى المراجع "إذن يجب أن نشير إلى هذه الثغرة، على أمل أن يسدها الباحثون في المستقبل".**(1)**

و أبرز من مثّل هذا العامل و أغناه هي النوادي الأدبية التي تعتبر من الوسائط في الأدب المقارن و أشهر نادي هو "نادي مدام دي ستايل بألمانيا الذي كان يتوافد عليه مجموعة من الشعراء و الأدباء...وعملت على تعريف الفرنسي بالألماني و الألماني بالفرنسي فلقد أصبحت فايمر بالإضافة المحفز المتقدم في الخارج للرومانتيكية الألمانية، وضيعة مدام ستايل في كوبيه على بحيرة جنيف، المراكز الكبرى للثقافة الأوروبية و المزارات العالمية".**(2)**

يقول غنيمي هلال: "و لا يصح أن نغفل هنا ذكر أهم هذه النوادي..."**(3)**. بالإضافة إلى نادي الاثنين لـ هيبوليت تان أما النوادي العربية فقد شهدت ظهور نادي طه حسين، و نادي مي زيادة و واكب ظهورها سير الأدباء العظام أمثال العقاد، الرافعي، شوقي، المازني، و كان لهاتة النوادي دورا توفيقيا بين الأدب الفرنسي، الإنجليزي و العربي.

4/أما العامل الرابع فهو ممثل الرّحالة و كم كان لهذا العامل من إسهامات عظام منذ عقود سحيقة من الزمان لأن الإنسان منذ بداياته الأولى كان يحب تغيير بيئته و الاتجاه إلى نحو مناطق أنسب فقد كان مسافر منذ الأزل و ها هو التاريخ يذكر العرب بالبدو الرحل كما يذكر الأدباء في الشرق الغرب، الشمال و الجنوب برحلات أسلافهم منهم كان هادفا إلى طلب العلم و المعرفة. غير أن الرحالة يحدثون أحيانا عن البلدان المزارة بطرق غير صحيحة.

1/ماريوس فرانسوا غويار : الأدب المقارن،ت:د.محمد غلاب ،مراجعة د.عبد الحليم محمود ،ص28.
2/ فيرنرب فريدريك،ديفيد هنري مالون:حدود الأدب المقارن،(سبق ذكره)،ص447..
3/ محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن (سبق ذكره)،ص116.

إذ أدخلوا اتجاهاتهم الذهنية و الفكرية و تحدثوا عن الأمم الأخرى كما يرونها و صوروها بسلبية تارة و إيجابية تارة أخرى، و هو ما يعني أن أصحابهم لو يكونوا ثابتي المواقف لأن الرحلات هي "المعين الذي يستقي منه أهل الأمة معلوماتهم عن الأمم لأي أمة – صحيحة كانت أم تلك الصور أم مشوهة – ".**(1)**

"و تكون الصورة التي رسمها كتّاب بلد ما للبلد الأخرى قصة مبتورة، كما هو الحال عند كتاب العرب و رحالتهم الذين لم يروا من إسبانيا إلا جانبها الإسلامي و ظلوا يبكون فيها الفردوس المفقود الذي نفي عنه أجدادهم".**(2)**

و بعد الرحلات شهد هذا النوع طورا آخر تمثل في **الاستشراق** حيث و له الغرب بتصوير المشرق العربي و صوروه عبر آدابهم فكانت خير عامل للتعريف بالآخر، لكن آراءهم كانت في أحيان كثيرة مجحفة و ظالمة في حق الشعوب الأخرى خاصة ما تحدث به المستشرقون الغرب عن العرب حيث " برزت في الغرب دعوة قوية لإحلال صراع الثقافات محل صراع الأيديولوجيات و الطبقات و لجعل *الإسلام* العدو الأكبر للغرب في هذا النمط الجديد من الصراع و كنار في الهشيم انتشرت في العالم نظرية صدام الحضارات التي بلورها عالم الاجتماع الأمريكي صموئيل هانتيغتون".**(3)**

و بغض النظر عن الجوانب السلبية التي أثرت على آداب الاستشراق إلا أنها انطوت على جانب من الإيجابية سيما و أن أصحاب هذه الكتابات من كبار الأساتذة و العلماء على الساحة الأدبية وهمهم هو التعريف بالمجتمعات الأخرى لغايات سياسية أو أهداف أيديولوجية أو معتقدات دينية تسعى إلى التشويه و بث صور البربرية إلاّ أنّ هناك فئة:" أسهمت جهودها بصورة جوهرية في تحسين صورة الشرق و ذلك بتقديمه إلى الرأي العام العربي و العالمي كموطن لشعوب ذات حضارة راقية لا كشعوب همجية بربرية مثلما تدّعي الأوساط الاستعمارية الصّهيونية التي صوّرت العرب بمنهج متوحش".**(4)**

1/ محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن (سبق ذكره)،ص111.

2/المرجع نفسه،ص333.راجع: H,peres L,Espagne,vu par, Lesvoyageurs,musulman,p173-180

3/ عبده عبود :الأدب المقارن مشكلات وأفاق،(سبق ذكره)،ص149

4/المرجع نفسه،ص145.

لكن أليس من المفترض على الإنسان أن يسمو فوق هذه النزاعات؟ و أن يبتعد عن ما له وجهات سياسية، دينية، أيديولوجية؟ ألا يفترض عليه تجاوز كل هاته الصراعات من أجل تحقيق إبداعات أدبية بترجمة روائع الأدب العالمي سواء كان عربيا أم غربيا على حد سواء، فلولا اجتهاد كبار العلماء لما وصل الأدب إلى رقي و لما تعرفنا على الآخر، و لما اهتدينا إلى العلاقات التي ربطت الشعوب ببعضها و متنت وشائجها و ربطتها بخيوط غليظة تأبى التمزق و لا تخشى مرور السنين و اندثارها؛ فكما يقول الأستاذ عبد عبود "و لؤلائك الذين يقولون بوجود مؤامرة غربية تهدف تشويه الحضارات العربية و تقويض أسسها نقول أن المؤامرة الحقيقية لا تكمن في الاستشراق بل في الصمت و التعقيم الثقافي و تعريضهم للنسيان ثقافيا".(1)

و لدعم الاستشراق ضرب لنا الأستاذ مثالا من عصرنا الحديث يقول: "إن أحدث مثال يمكن أن نوضح تلك الحقبة من خلاله هي المعركة الإعلامية و الثقافية التي رافقت منح (جائزة السلام لناشرين ألمان) للمستشرقة الألمانية الكبيرة أنا ماري سيمل Anna Marie Saimmel عام 1995".(2)

فقد عانت كثيرا إثر آرائها اتجاه الإسلام المسلمين و التي أعقبتها مساندة المستشرقين الألمان لزميلتهم و دفاعهم عنها و هو ما لم يشهد العالم العربي بنومه الثقافي عما يدور حوله و غفوته عنها التي لا تأبى الاستفاقة من غيبوبتها و إن كانت المستشرقة قد نالت جائزتها عن جدارة و استحقاق في سبيل الوصل بين الحضارات و تعريف الأنا بالآخر.

5/ **والعامل الخامس** هو النقد و الصحف و المجلات و في عصرنا الحالي وسائل الإعلام الحديثة و طالما كانت هذه الوسائل خير الوسائط التي قاربت بين الشعوب في مختلف أواسط المجتمعات إذ نقلت الصحف و المجلات مقالات تتحدث عن أعمال أدبية و حتى أوضاع معاشة في العالم لا تخلو من خلق عالم أفضل للإنسان و الإنسانية كما لا يخلو من التعريف

1/ عبده عبود :الأدب المقارن مشكلات وأفاق،(سبق ذكره)،ص147

2/المرجع نفسه،ص148

بأنماط السلوكات التي تختلف من فرد إلى آخر و من شعب لآخر و كذلك الوسائل الإعلامية الحديثة التي تتناول حصص تثقيفية و استضافة كبار الأساتذة و الأعمدة في مجالات متعددة.

لقد سهلت هذه العوامل على الإنسان التواصل دون عناء و مجهود و هذا بفعل التقدم التكنولوجي و تطور الوسائط و تعددها و الشيء الذي جعلها عاملا بناءا قام بأدائه الهام في إحداث تواصل فكري، أدبي، اجتماعي حضاري إلى جانب هذا ازدادت الدراسات النقدية التي هي بمثابة مصفاة تنزع الشوائب و تقف على الصواب و الخطأ و تجلو مفاهيم لنصوص يكتنفها الغموض من جميع نواحيها نفسية أم اجتماعية أم أدبية...

لقد كانت كل هاته الظروف عوامل مناسبة بدأت تترعرع في ثناياها بدايات عالمية الأدب و كان لها دورها الكبير في تواصل الحضارات و تواصل الشعوب ببعضها البعض في كل قطر و شبر من أقطار الأرض، و كانت الغاية من هذا التواصل خلق و إبداع أعمال تتوج ضمن روائع الأدب العالمي و كذا الاهتمام بالإنسان و التعبير عن انشغالاته.

5/خصائص الأدب العالمي:

إن العالمية الأدب تقتضي وضع أساسها و منهاجها و كذا خصائصها التي تتميز بها عن غيرها، و العالمية في الأدب بقدر ما هي دعوة إلى الانفتاح على الأمم و المجتمعات و الأخذ و العطاء و الاستفادة من كل ما تحاول الحفاظ على تراث الأمم الأخرى و إلا فكيف تميز حضارة عن أخرى، و من أهم خصائصها:

1/ المحافظة على أصالة التراث القديم و احترام خصائص الشعوب التي تميزها عمن غيرها، فإذا نادينا بغير ذلك فلا محالة زوال شخصية الأمة و هو يتهاو انصهارها مع شخصيات الأمم الأخرى و كذلك فإننا لا نستطيع تمييز مواطن تأثير و تأثر الآداب ببعضها البعض "فالمحافظة على أصالة الأدب المتأثر المراد بها القدرة على التفاعل مع الآداب الخارجية و الاستفادة منها، و التأثر بها و الاستعارة منها بما يناسب الأدب القومي و يحتاج إليه ليغنيه و يكمله و يبعث فيه الحياة و القوة و النماء"**(1)**.

1/ محمد رمضان الجربي: الأدب المقارن،(سبق ذكره)،ص44

كما أن الأصالة في الأدب العالمي هي المحافظة على الموروث و:" القدرة على التجاوب مع الآداب العالمية و الاستفادة منها لمعالجة الأدب القومي و النهوض به ليؤدي رسالته في بناء المجتمع على الوجه المطلوب"(1).

و الجديد الوافد إلى الأدب القومي يطبع بطابع تلك الأمة فكريا كان أم فنيا.

2/أما الخاصية الثانية فهي القيام بالأدب القومي و إخراجه من حجابه و عزلته فكيف دب أن يتطور بمعزل عن غيره و كيف لأمة أن تعتزل غيرها من الأمم فغاية الأدب العالمي هي مشروع كبير قصد تحقيق الحوار حول أمهات المسائل الثقافية التي بواسطتها تمكن من إذابة العزلة و تطوير جهودنا و طاقاتنا المادية و الروحية "مع المحافظة على الأصالة القومية و التقاليد الموروثة في الشكل و المضمون و الصياغة النقدية حتى تمحى شخصيته، و خصائصه اللغوية التي يراد إكمالها و إغنائها بهذا الاختبار و الاقتباس من الآداب العالمية".(2)

3/و كي تتوج هذه الأعمال و يبلغ صداها العالم بأسره وجب لها أن توجه من خلال أساتذة كبار و كوكبة من الصفوة لهم هذا الخبرة في المجال من نقاد و كتاب "مارسوا الآداب، و وعوها و أدركوا خصائصها الجمالية من واقعهم و خبراتهم و استعدادهم و رصدهم للحركة الفكرية و الأدبية هؤلاء الأدباء الممتازون هم القادرون على مجاوزة الحدود لتلبية حاجات آدابهم الفكرية و الفنية فينتقون الصّور الجيّدة و المذاهب الجديدة و التيارات الفكرية الرائعة ليطمعوا بها أدبهم كي يزداد نموا و إبداعا".(3)

4/و حتى يصل الأدب إلى مصاف العالمية أيضا وجب عليه أن يعبر عن قضايا تمثل الإنسانية بالدرجة الأولى لأنه يمثل أرضية تقوم على أسس مشتركة تتخطى الخصوصيات

1/ محمد رمضان الجربي: الأدب المقارن،(سبق ذكره)،ص44

2/المرجع نفسه،ص44

3/ المرجع نفسه،ص45

نحن لانلغي التحدث عن الذات لأن هناك العديد من الأدباء و الكتاب تحدثوا عن سيرة حياتهم و كانت أعمالهم ناجحة في الكثير من الأحيان فها هو *غوته* أبرز ممثلي الأدب الألماني تحدث عن شخصيته و تجاربه المعاشة في الحياة، كما أنه من شخصيات مريضة و معقدة نسج أبهى النصوص التي وصل صداها إلى العالمية مثل الشاعر الفرنسي **شارل بودلير** كما أن هناك من مزج بين الواقع و الخيال، و نخص بالذكر هنا أدب أمريكا اللاتينية التي كانت مهدا لولادة الأدب العجائبي الذي انطوى تحت لواء السريالية "فمادام كل كاتب عضوا في مجتمع فيمكن أن يدرس ككائن اجتماعي و بالرغم من أن سيرته مصدر رئيسي أن توسع هذه الدراسة بحيث تشمل كل المحيط الذي أتى منه و عاش فيه، و سيكون من الممكن أن تجمع معلومات عن المنشأ الاجتماعي للكاتب، و خلفية الأسرة، و الوضع الاقتصادي".**(1)**.

لكن يبقى على الأمة معالجة القضايا الاجتماعية بشكل أكبر، فالأدب قبل كل شيء محاكاة للحياة الاجتماعية تحديدا.

5/تبقى لنا أن نقول أن العالمية فتحت أبواب الحوار مع الآخر و حاولت قدر الإمكان أن تقضي على مرض الطائفية و الانعزالية بكل تجلياتها الثقافية، السياسية، و الاقتصادية خصوصا و أن له تأثيرات سلبية على الأمم و المجتمعات و إن كانت بعض الدول قد طبقت هذه السياسة و لم تنجح، وهذا سيؤدي في نهاية المطاف إلى شل طاقات الجماهير العامة الساعية لمواكبة العصر و مسايرة ركب الحضارة من خلال تطوير العلم و التكنولوجيا و التواصل اللامحدود إذ طالما مثلت القوميات الطائفية، و التعصب و الطبقية و الاستغلال بكافة أشكاله.

و من خلال العالمية برزت مجالات عديدة فتحت أبواب على دراسة علاقات الآداب ببعضها البعض، من أمة لأخرى، و من مجتمع لآخر.

1/رينيه ويليك ،اوستن وارين :نظرية الأدب،(سبق ذكره)،ص99.

الفصل الأول: عالمية الأدب من الأدب العام إلى الأدب المقارن

1- حدود الآداب

2- دور الأدب العالمي في ترسيخ الحوار الحضاري

3- مقوّمات النص العالمي

الفصل الأول :عالمية الأدب من الأدب العام إلى الأدب المقارن

الأدب المقارن علم حديث النشأة مضطرب المفهوم شهد اختلافات كبيرة في الساحة الأدبية رغم أنه لاقى رواجا كبيرا واعتمد كفرع من فروع الدراسات الأدبية المقارنية في مختلف أرجاء العالم. فمصطلح "المقارن" عام و شامل، ذلك أن المقارنة تشمل العديد من العلوم الاجتماعية، الثقافية، الدينية والأدبية وهو ما أشعل فتيل الجدال بين المفكرين حول مفهومه ومنهجيته كل حسب اختصاصاته، كما أنه ينطوي على جانب كبير من الحساسية تتجلى لنا في الجانب التاريخي وإن اختلفت ميادينه فلإقامة المقارنة وجب الالتزام بالتحديد التاريخي، كي يكسب جانبا من الأمانة العلمية، ليس هذا فحسب بل لأن البحث في مجال الآداب وتأثيرها وتأثرها ببعضها البعض يتطلب العودة إلى التاريخ. فالأعمال الأدبية وإن كانت ترقى إلى مستوى فني جمالي رائع إلا أنها لا تهمل الجانب التاريخي، إذ كثيرا ما تروي لنا وقائع تاريخية مشهودة عبر حقب وأزمنة غابرة حتى ولو كانت ممزوجة بالأساطير والأقاصيص الخرافية ذات الطابع الغرائبي و العجائبي الذي يكسوها، وأبرز مثال لنا على الآداب والنصوص التي تهمّل هذا الجانب هي "حرب طروادة".

إن الفضل في الإثباتات العلمية، اللغوية، الدينية والأدبية أو غيرها يعود بالدرجة الأولى إلى التاريخ والمؤرخين، وربما أشد ما كان يلفت انتباهنا هنا بالذات هو الدراسات الشمولية التي تنظر إلى حضارات مختلفة ككل معقد متماسك تأثر وأثر و تواشح مع بعضه البعض محاولة تحليل تلك الحضارات وآدابها في ضوء حضارات وآداب أخرى، و ممايزة كل منها عن الأخرى وتبيان مواطن العلائق الثقافية، الاجتماعية وبما فيها الأدبية. و هو ما يجعل الأدب المقارن في أزمنة تبعده عن مجال محدد و منهج متبع، كما تضفي عليه سمة من الأدب العام الذي يتناول ألوانا متنوعة وغنية بتنوع وغنى هذه الأقاليم في مضمار الحضارة والثقافة التي انصهرت كلها في بوتقة "العالمية "بما فيها العربية، الفارسية، الهندية والبربرية، و كل الأنماط السامية والحامية.

لقد شهد هذا العلم منذ نشأته عطاءات غزيرة في ميدان الأدب وغيره، إلا أنه ما زال يحتاج إلى مزيد من البحوث والدراسات، لأن هذا الأخير يثير قضايا تتعلق بنفسية الأمم والمجتمعات ومدى قدرتها على الأخذ والتقبل والعطاء وكذا أصولها وقيمها وعقائدها التي لا تخرج عن إطار قومياتها وتاريخها وأمجادها، إذ عليه أن يتوخى الدقة التاريخية عبر مراحل عصور خلت.

وللولوج في خضم الأدب المقارن والأدب العام، وجب علينا أن نبحث أولا في جذور مصطلح: **"المقارن"** الذي استعمل في كثير من المناسبات عددها سالم المعوش في كتابه **"حوار الحضارات"**.

أ -<u>في إنجلترا</u> :حيث وردت الكلمة ومصطلح "المقارن" عام 1598 في عنوان مقال كتبه فرانس ميرز* وهو" بحث مقارن في شعرائنا الإنجليز و الشعراء اليونانيين واللاتينيين والإيطاليين".**(1)**

كما يرجع تاريخ الأدب المقارن في إنجلترا إلى "بدايات حكم الملكة فيكتوريا، ففي ذلك الوقت نشر هنري هالام Henry Hallam كتابا عنوانه "مقدّمة لدراسة الأدب الأوروبي في القرن15، و القرن16، والقرن17"، وقد ظهر الكتاب في أربع مجلدات ما بين سنة1837 وسنة1839.**(2)**

ولا ريب أن كلمة مقارن هنا ترد على حدة، وأصلها منحدر من اللاتينية التي كانت لفترة طويلة اللغة الأدبية لأوروبا والكلمة هي comparativus بينما أصبحت في الفرنسية والإنجليزية comparativc.**(3)**

---

*فرانس ميرز :باحث وناقد انجليزي.

1 / سالم المعوش: الأدب وحوار الحضارات،الطبعة الأولى، دار النهضة العربية بيروت ـ لبنان -2007 م، ص ،32عن مفاهيم نقدية ل: رينيه ويليك ص304

2 / مجلة عالم الفكر (الأدب المقارن)،العدد الثالث، المجلد الحادي عشر،أكتوبر ،نوفمبر، ديسمبر 1980م.

3/سالم المعوش:(سبق ذكره)،ص:33

وكما سبق وأن أسلفنا الذكر أن مصطلح "المقارن" لم يطلق على الأدب فحسب بل تعداه إلى علوم أخرى كاللغة والدّين وحتى العلم، "فقد نشر جون غريغوري **G.Gregory** كتابا بعنوان: "تشريح مقارن للحيوانات المتوحشة" وكتابا آخر بعنوان "نظرة مقارنة بين وضع الإنسان وملكاته ووضع الإنسان وملكاته". وأعلن توماس وارتن **Thomas Warton** في مقدمة الجزء الأول من كتابه "تاريخ الشعر الإنجليزي" أنه سيقدم "عرضا مقارنا لشعر الأمم الأخرى".**(1)**

كما أن هاته اللفظة استعملت أيضا من قبل جورج إلس الإنجليزي تحت مصطلح "النقد المقارن" في كتابه "عينات من شعر أوائل الشعراء الإنجليز"**(2)**

وفي سنة 1886 جاءت المبادرة المشكورة من المحامي الإنجليزي هجسن ماكولي بوسنت و كان أول من ألف كتابا عن "الأدب المقارن" واستعمل فيها العبارة بوضوح تام جلي.**(3)**

و يعتبر الأديب الإنجليزي "ماثيو أرنولد **Mathew Arnold** أول من جارى الفرنسيين في استخدام تعبير الأدب المقارن و آذاعه بين القراء وذلك بعد ظهور كتاب هالام بعشر سنوات، ويدعو أرنولد إلى دراسة الأدب بغير قيود أو حدود و ينفي على إنجلترا أنها ما زالت متخلفة في هذا المجال عن سائر القارة الأوروبية.**(4)**

ب -<u>في فرنسا</u> :

أما في فرنسا فقد ظهر هذا المصطلح مع كوفييه في مطلع القرن التاسع عشر وبالتحديد في 1800عندما نشر كتابه "التشريح المقارن" وفي سنة 1816-1817 نشر الباحثان نويل **Noel** ولابلاس **La Place** مجموعة من كتب المختارات عن الأدب الفرنسي والكلاسيكي والإنجليزي

1/سالم المعوش:(سبق ذكره)،ص 33.عن توماس وارتن: تاريخ الشعر الإنجليزي،ج 1،المقدمة ص04.لندن 2007.م" history "of English poetry.thomas warton

2/المرجع نفسه:ص 33،عن عينات من شعر أوائل الشعراء الإنجليز،جورج الس ،ط/2 ،ج/1، لندن 1806م ،ص58.

3/المرجع نفسه:ص34

4/مجلة عالم الفكر (الأدب المقارن)،سبق ذكره،ص2

تحت عنوان "دروس في الأدب المقارن" " *Lesson dans la litterature compareé* (1)."

بالإضافة إلى "دراسة تحليلية في الأدب العام" لـ: نيبوموسين لوميرسييه سنة 1817م و"النحو المقارن للغات أوروبا اللاتينية" لـ: فرانسوا رينوارد سنة 1821م وعقب كل هاته الدراسات والمحاولات قدّم آبيل فرانسوا فيلمان ***A.François Fillman*** المصطلح في محاضراته العامة بجامعة السوربون الفرنسية عام 1828-1829م كمشهد للقرن الثامن عشر تابع فيه تأثير إنجلترا في فرنسا وبالعكس من هنا جاءت نظرية المقارنة السليمة و السديدة حيث استعمل تعابير مثل: "صورة مقارنة"، "دراسات مقارنة"، "أدب مقارن"، كما استعمل في كتابه الآخر تعابير : "صورة الأدب في العصر الوسيط في فرنسا، إيطاليا وإنجلترا" الذي صدر عام 1830".**(2)**
تجدر بنا الإشارة هنا أيضا إلى أن محاولة ماكولي بوسنت اعتبرت بحثا تركيبيا من تاريخ الأدب الذي يدخل في تاريخ الإنسانية حاله حال" جوزيف تست في كتابه "تاريخ الأدب المقارن" عام 1843م وكذلك تعبير "تاريخ الآداب المقارن" الذي استعمله جان جاك أمبير، وكذلك "دليل المزج بين تاريخ الأدب العام والمقارن" الذي قدم إلى بلد انسبرجر.**(3)**

جـ -<u>عند العرب</u> :

أما عند العرب فقد كان ظهور مصطلح "المقارن" باهتا جدا، ونحن لا ننفي وجود مثل هذا النوع الذي وجد عند العرب وأطلقت عليه تسمية "الموازنة" إلا أنها لم تكن على نحو ما شهدته الدول الغربية من تنوع في استخدام المصطلح وبحثهم عن كيفية التعامل معه وفق ما تتطلبه الدراسات وهو ما جعل لها السبق في الريادة. كما أن الأدب المقارن لا يقارن بين أعمال ومنتجات ومؤلفات أدبية داخل لغة واحدة كما فعل العرب بل هو يحذوا بخطاه إلى مدى أوسع

1/سالم المعوش:(سبق ذكره)،ص34

2/المرجع نفسه:ص 34-35،عن صورة الأدب الفرنسي في القرن الثالث عشر ،ج2/1،باريس1873،ص24، *tableau de la littérature française au xviii eme seicle*

3/بول فان تيغم:(سبق ذكره)،ص18

وأبعد من ذلك إلى العالم بأسره. لكن تبقى للعرب شبه محاولة تفتقد إلى الوضوح والدقة على الرغم من محاولة الموازنة بين الآداب القديمة (العربية فقط) وهي في ذلك تنطلق من مفهوم المقارنة لكن داخل حدود اللغة الواحدة وحتى الأمة الواحدة وهذا ما جعلها تبتعد عن حدوده (الأدب المقارن)، "فالشرط الأول أن تكون الدراسة المقارنة بين أعمال كتبت بلغات مختلفة، وإذا انتفى هذا الشرط خرجت الدراسة من دائرة الأدب".**(1)**

د -<u>في ألمانيا</u> :

استعمل "غوته" كلمة مقارن المترجمة إلى الألمانية سنة 1795م في مقالة بعنوان:"مخطط أولي لمقدمة عامة للتشريح المقارن" كما استعمل أوغست شليجل اصطلاح "النحو المقارن" عام 1803م.**(2)**

بعدها ذاع صيت الآداب المقارنة في كامل أنحاء العالم بدءًا من الغرب، فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، إيطاليا وروسيا... وصولا إلى العرب.

وعقب دراستنا واطلاعنا على هذا المصطلح المستعمل في العصر الحديث وجدنا أن هناك اضطرابا وتضاربا شديدا حول المفهوم الصحيح لهذا العلم بالرغم من إرساء كرسيه في مختلف الجامعات، فراح البعض يضفي عليه الجانب التاريخي ويرى فيه ضرورة للدراسات الأدبية المقارنة، باعتباره أساسا مهما في صياغة النتاج الأدبي، فيما فنّده البعض الآخر على اعتبار أن المقارنة هي دراسة جماليات النص من جوانبه الفنية، كما ذهبت طائفة أخرى إلى ابتكار تسميات أخرى مثل: "الأدب الشامل"*Littérature universelle* و "الأدب العالمي"*littérature international* و"الأدب العام"...إلخ من التسميات. لكن أليس من السليم إرساء مفهوم صحيح له؟ و وضع أسس ومبادئ تجعله ضمن الدراسات المنتهجة لأنه ليس من اليسير الخوض فيه بعفوية تامة، فهو أدب قوميات قبل أن يلج إلى عالم العالمية وبالتالي يجب

1/طه ندا:الأدب المقارن،دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - ص23.

2/سالم المعوش:(سبق ذكره)،ص35

توخي الدقة والحساسية والثقافية، لا أن نخلطه بضرب من العشوائية واللامبالاة فكل الدراسات لا بد لها من نقد وتتبع لسير الأحداث.

على العموم فقبل الخوض في غمار هذا المجال وبعد تتبع ظهور المصطلح وجب علينا الإشارة إلى مفهوم الأدب المقارن والأدب العام وعلاقة كل منهما بالآخر، فهل هي علاقة اتصال أم انفصال؟ وهل لكل منهما دوره على حدى؟ كيف تهيأت الأجواء و الظروف لاستقبال هذا المولود الجديد في العصر الحديث؟ لأن الأدب المقارن لا يدرس بعيدا عن أجواء النصوص الأدبية والأعمال الفنية العالمية الوافدة من كل حدب وصوب، وإن كان يختار الآداب التي توافرت لها مجموعة من الظروف أولجتها إلى حضن الأدب العالمي فصارت بذلك من المختارات والروائع.

1- **مفهوم الأدب المقارن :**

1/ محمد غنيمي هلال: يقول بأن: "مدلول الأدب المقارن تاريخي ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو ماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر وأيا كانت مظاهر تلك التأثير والتأثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي الأدب، أو خاصة بصور البلاد المختلفة".**(1)**

2/ بول فان تيغم يرى بأن: "المقارنة تعني تقريب الأحداث المقتبسة من جماعات مختلفة وبعيدة غالبا لتستخرج منها قواعد عامة، أما فيما يتعلق بالمؤلفات الأدبية فإنها تعني الجمع والمقابلة بين الكتب والنماذج والمشاهد والصفحات المتشابهة ...للوقوف على ما فيها من مجانسات أو مطابقات أو خلافات.... وتكون المقارنة إذا ما استعملت على هذا النحو بمثابة رياضة فكرية مهمة ومفيدة جدا في تكوين الذوق والتفكير دون أن يكون لها أية قيمة تاريخية...ومجمل القول أن لفظة المقارنة يجب أن تعرى من كل معنى جمالي وأن تأخذ معنى تاريخيا فقط وأن الوقوف

1/محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن(سبق ذكره)،ص13

على أوجه الشبه والخلافات من خلال كتابين اثنين أو أكثر في لغات مختلفة ليس سوى نقطة انطلاق ضرورية من شأنها أن تكشف بواعث التأثير وآثار الاقتباس ...إلخ".**(1)**

3/ ماريوس فراسوا غوبار: يرى بأنه. "لا جرم أن الأدب المقارن قد ظهر في مبدئه على أنه إدراك وجداني للعالمية الأدبية، مضاف إلى الرغبة في هذه الدراسة العالمية من الوجهة التاريخية" كما أن "الأدب المقارن هو تاريخ العلائق الأدبية الدولية، فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات مبادلات الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب.**(2)**

4/ دانييل هنري باجو: يرى بأن: "الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير، وتقريب الأدب في مجالات التعبير والمعرفة الأخرى، أو أيضا الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها، المتباعدة في الزمان والمكان أو المتقاربة شرط أن تعود إلى لغات وثقافات مختلفة تشكل جزءً من تراث واحد من أجل وصفها بصورة أفضل وفهمها وتذوقها.**(3)**

إن أبرز ما نستخلصه من خلال التعريفات السالفة الذكر نجد أن تعريف الأستاذ بول فان تيغم أعمق وأدق وأشمل كما أنه لم يهمل الجانب التاريخي لما له من أهمية يضفيها على البحوث والدراسات، فمهما عمد المقارني إلى البحث عن مواطن التشابه والتلاقي في النصوص الأدبية بين كاتبين اثنين فهو لا محالة راجع إلى البيئة والفترات والأزمنة التاريخية التي عايشها الكتاب في تلك الحقب الزمنية وبالتالي يكون لها تأثيرها العميق في هذا النتاج الأدبي كما هو الحال بالنسبة للأدب الروسي الذي عبر بصدق عن مظاهر الحياة الضنكة والبؤس الذي عاناه الناس من ويلات البربرية الروسية الباردة التي تضاربت الحياة السياسية فيها. وهكذا فإن الأديب هو

1/بول فان تيغم:الأدب المقارن،تعريب سامي مصباح الحسامي،منشورات المكتبة العصرية،صيدا- بيروت - ص

2/ماريوس فرانسوا غويار:الأدب المقارن،ترجمة:د محمد غلاب ،مراجعة الدكتور عبد الحليم محمود،لجنة البيان العربي،إشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بـ: مصر1956م

3/دانييل هنري باجو:الأدب العام والمقارن،ترجمة غسان السيد،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1997م،ص18.

ابن عصره ومجتمعه وبيئته وطبقته، والأدب هو تعبير عن التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العصر، وهي بيئة نمطية صبّ فيها الأدباء قوالب فنية رائعة، والحال نفسه بالنسبة للحروب الطروادية و الصليبية.

أما باقي التعريفات فقد كانت مشابهة تقريبا وبعضها الآخر يرى الأدب المقارن بأنه يعالج فنيات الأعمال الأدبية فقط كما رأيناه عند هنري باجو.

والحقيقة أن تسمية **"الأدب المقارن "**جاءت واسعة بما يكفي، كما أنها لم تحدد نطاق الدراسة المقارنية في ظل التاريخ وأرسيت تحت هذا الاسم على الرغم من أن الأوائل الذين أقاموا البحوث في هذا المجال أعطوا تسمية كان بإمكانها أن تكون أدق ممثلة في "تاريخ الأدب المقارن" لأننا ندرس الجانب الفني والتاريخي في آن واحد. كما أن هناك من التعريفات التي لا تنظر إلا في الجوانب الفنية الجمالية ومدى تشابهها وتأثر أحد كتابها بالآخر فحسب، وهذا أمر خاطئ كل الخطأ وبعيد كل البعد عن الدراسات المقارنية.

أما إذا عدنا إلى الأدب العام فهو أوسع و أشمل وأعم من الأدب المقارن كما أنه لا يستغني عن التاريخية في الأدب ويرى فيها ضرورة كبرى تضبط الأدب، والبحث في هذا المجال التاريخي شُهد عليه منذ القديم، والدليل على ذلك الرحالة والمؤرخ الإغريقي الشهير **"هيرودوت"***، والمؤرخ الروماني **"سوتونيوس"****. إذ أثبت أولئك المؤرخون برحلاتهم عبر مختلف البلدان والقارات صحة الأحداث التي روتها أعمال أدبية عظيمة خلدت على مر الزمن، وأثبتوا صدق الأحداث التي رواها الأدباء في كتاباتهم عبر الحفريات التي أقاموها في المناطق التي روتها النصوص الأدبية، وترجمت أعمال أولئك المؤرخين إلى العديد من اللغات في العالم و سطّرت

---

*هيرودوت:مؤرخ إغريقي مشهور(480-425 ق،م)،يعرف بأبي التاريخ لأنه أول من جمع مادته بنظام و تأكد من صحتها،قام برحلات عديدة في أوروبا إفريقيا و أسيا.

**سوتونيوس:(70-160م):مؤرخ روماني مؤلف"حياة القياصرة" من يوليوس قيصر إلى دومنيان، لكن أكثر أعماله قد فقد،وترجم ما بقي منها إلى الانجليزية ، ثم إلى لغات أخرى

في كتب بغرض الاستفادة منها وجعلها ك:بيبليوغرافيا يرجع إليها أي باحث مقارني متى يشاء في بحوثه. إذن فإهمال الجانب التاريخي بعيد عن الصواب في مثل هاته الدراسات، يقول "رينيه ويليك"و"أوستن وارين" في كتابهما نظرية الأدب: "يعترف الذين يؤلفون فريقا آخر بأن الأدب أولا وقبل كل شيء فن، وإن كانوا يلوّحون غير قادرين على كتابة تاريخ فهم يتحفوننا بسلسلة متقطعة من المقالات عن أفراد المؤلفين، ويجربون أن يربطوهم "بتأثيرات" غير أنهم يفتقرون إلى أي مفهوم للتطور التاريخي الحقيقي".(1)

إذن السعة والرحابة كانت من سمة الأدب العام، الذي يبحث ضمن نطاق أوسع وأشمل من دراسة النص كفن فقط، وذلك نظرا لعدم كفاية الآداب المقارنة وهو ما جعله يلي الأدب العام، يقول بول فان تيغم: "وإننا نعني بتاريخ الأدب العام أو بالاختصار الأدب العام نطاق من الأبحاث يتداول الأحداث المشتركة بين عدة آداب إما في علاقاتها المتبادلة وإما في مطابقتها".(2) وهو بذلك يسدي خدمة كبيرة بدراسته لمختلف الآداب في آن واحد إلى جانب التاريخ، ولأنه ينير الأذهان ويعرّف الأنا بالآخر تاريخا وأثر وتأثيرا وفنا، "يقول أيضا: "إن للأدب العام إذا فائدة مزدوجة: إنه أولا يتيح للتاريخ الأدبي أن يفهم إلى حد بعيد كاتبا، كتابا...برؤيته منغمسا في الوسط الأدبي الذي ينتمي إليه، ثم إنه علم تاريخي بل وأكثر من العلوم نفوذا ودقة".(3)

من هذا يتأكد لنا أن الأدب المقارن والأدب العام وجهان لعمله واحدة، فالنصوص والأعمال الأدبية الوافدة من مختلف الأقاليم والمتعددة اللغات تقارن وتدرس من وجهتيها الفنية والتاريخية بالعودة إلى الأدب العام والإستناد إلى منهجية المقارنة وكذا من حيث مواطن التأثير والتأثر وكيفية تقبل الأنا للآخر ورأيه فيه على الرغم من اختلاف الديانات والأعراف والعادات

/1

2/بول فان تيغم:الأدب المقارن (سبق ذكره)،ص146

3/المرجع نفسه:ص146- 147

والتقاليد، وكيفية استفادة قوميات من قوميات أخرى كل هذا يشكل سلسلة من تطور الأدب والمجتمع والدراسات المقارنية والعامة وحتى الإنتروبولوجية، لما لا فهي الأخرى لها إهتمامها في هذا المجال.

إن "هذه العلوم المقارنة تبدأ من مبدأ واحد هو التسليم بوجود علاقة بين الشعوب والمجتمعات التي يتم المقارنة بين نظمها وثقافتها، ثم البحث بعد ذلك عن طبيعة هذه العلاقة، وأوجه التأثير المتبادل، فالاتصال السابق إذن كان هو نقطة الانطلاق في قيام هذه الدراسات والعلوم المقارنة".(1).

لكن ما استوقفني خلال دراستي هذه، هو أن جل الكتب والدراسات القائمة في هذا المجال تتناول الحركات والتيارات الغربية وتوليها شأنا كبيرا وبالغ الأهمية، بعيدا عن الحضارات العربية التي قل الحديث عنها في صفحات باهتة، فما الحديث إلا عن الغرب والإغريق والمدارس الفرنسية والأمريكية والأدباء والكتاب الغربيين، أهل إلى هذا الحد ركد الأدب العربي، وأبى مغادرة ما فيه بإطلالة إلى ما وراء الحدود.

إن حركة التغيير التي سادت العالم بعد القرون العتيقة جعلت الحركة تدب فيه بشكل مذهل، فالتقدم في إنشاء طرق المواصلات وكثرة الرحالة، انطلق العالم من حضارات بسيطة التركيب إلى أخرى متباينة ومتعددة أشد التفرع في أصولها البشرية والثقافية، فأنتجت هاته البيئات فيئات من المولدين المزدوجي اللغات، الذين كان لهم بالغ الأثر في التقريب بين الحضارات من حيث النواحي الفكرية والأدبية، وبرزت مظاهر التجديد والإضافة والخلق والإبداع إلى جانب النصوص الكلاسيكية القديمة، وهذا ما أكسب النتائج الفكري، الأدبي أهمية وقيمة ومكانة متميزة في مختلف بقاع العالم.

لقد "كان من الطبيعي أن يكون لهذه الحركات الأدبية صداها ليس فقط على النطاق الأوروبي أو الأمريكي، بل النطاق العالمي كله، فالحركة الرومانسية مثلا، وجدت نصيرا لها عند:

1/مجلة عالم الفكر(الأدب المقارن):سبق ذكره،بقلم مستشار التحرير،د.أحمد أبو زيد،ص04.

"شيلر"***Shiller***" الألماني و"شيلي"***Shelley***" الإنجليزي وعند "هوجو"***Hugo*** "الفرنسي وعند "بوشكين" "***Pushkin*** الروسي وعند الكثير من شعراء العرب في النصف الأول من القرن العشرين".**(1)**

وازداد الأدب تطورا وتقدما بالتطورات السياسية والاجتماعية السائدة في العصور المسايرة له، حيث يبرر الأديب مواقفه ورؤيته تجاه بيئته والطابع الاجتماعي فيها مؤيدا أو معارضا لأنظمة الحكم من حكامها إلى إطاراتها ونظمها. وعصرنا الحالي أكبر دليل على ذلك، فهاهي أمريكا وإسرائيل تعاقب كل من يخالفها ويمس سياستها، وتدعوا إلى ما يوافق منهجها، وهي في ذلك مهووسة بجنون عظمتها، ضاربة عرض الحائط الاختلافات الإيديولوجية والانتماءات الشعوبية، هادفة من كل ذلك وضع كل فن وثقافته وفق ما يتماشى وآرائها وأنظمتها وبُناها السياسية، وكان الأدب مسايرا لكل هاته الأحداث إذ "يستمد الأدب كما يستمد الأديب من انتمائه إلى بيئة، وتربة اجتماعية وثقافية ومن نموّه فيها، كما يستمد من معايشته لدقائق الحياة ومعاناة الناس فيها قدرة على الغوص في أعماق النفوس وكشف الدخائل، ودوافع الأفعال وقوانين العلاقات ومحركاتها..."**(2)**

ثم يتبع الأدبي قوله: "...وترانا في ميدان الأدب شئنا أم أبينا أمام تبادل، تفاعل، تواصل وتوغل، بل قل معارك مع السياسة، حيث تكون آنًا جدلية نافعة وآنًا ضارة، ويبقى الاختلاف في درجة التواصل والتأثر والتبعية..."**(3)**

كل هذه الأحداث المتغيرة التي تساير ركب البشرية المتغيرة، التي تساير ركب البشرية أثرت

1/مجلة عالم الفكر: (الأدب المقارن)سبق ذكره، ص17

2/ مجلة الموقف الأدبي:(ملف الأدب والسياسة)العدد 171، اتحاد الكتاب العرب - دمشق - تموز1985م، ص22

3/المرجع نفسه،علي عقلة عرسان،ص 24

في الأدب وجعلته لوحة فنية باهرة، فمن العقود الكلاسيكية وروائعها إلى الرومانسية التي ثارت على قيود المحاكاة والتقليد بدعوتها إلى التحرر والانعتاق والبحث عن سبل القيام والنهوض بالأدب إلى مستوى أسمى فقد "كانت الظاهرة الأدبية والثقافية للتمرد الرومانتيكي أساسا لظهور قدر ضخم من الكتابة مثيرا لجدّته وأصالته وروحه الفردية المتعالية".**(1)**

لقد كان لظهور هذا الزحم كله من الآداب ضرورة قيام علم تقارب بينها ويرى مواطن تأثيرها وأثرها وصداها بين مختلف بلدان العالم ومدى تميزها عن سواها في الوسط العالمي.

كذلك سريرة الإنسان وشغفه بالتعرف على الآخر جعلتاه يحب الاطلاع على ثقافات وحضارات غيره محاولا الإلمام بكل جوانب نقيض الأنا وهويته، كما كان لطبيعة الاتصال وظروفه من فتح سبل المواصلات ورحالة وترجمات ومستشرقين ورجال الدين أثرهم البالغ في آرائهم المنشورة شفها وكتابة (أدب). كل هذا خلق ضرورة ودعة لتمحيصه وتخليصه من الشوائب التي قد تدس إما خطأ وإما ترويجا لمذهب ما أو سياسة أو إيديولوجية أو تشويها في الجانب التاريخي وجب تصحيحه وإعادة النظر فيه، فكان الأدب المقارن أو الأدب العام علما دقيقا لذلك سواء من جانب تاريخ الأدب أو الأدب باعتباره فنا راقيا.

ثم لا يسعنا إلا أن نقول: "بأن الأدب الحي شعرا كان أم نثرا، يكشف تجارب أفراد مبدعين هم خلاصة عصر أو جيل وبعض شهوده ورواده وكل منهم متأصل في بيئة، ثقافة ومجتمع متواصل تواصلا فعالا مع الآخر كيانا فرديا كان الآخر أم موروثا حيا في تاريخ أمة".**(2)**

1/ <u>حــدود الآداب :</u>

لا جرم أن انحصار أي أمة وسط حدودها هي في منأى عن كل التطورات والتغيرات الاجتماعية والعلمية والأدبية والسياسية، وهذه التطورات حاصلة لا محالة شئنا أم أبينا لأنه ما

1/فريدريك فيرنرب /ديفيد هنري مالون:حدود الأدب المقارن،ت:أ.د.عبد الحكيم حسان،مركز الحضارة العربية ـ القاهرة ـ ص123

2/مجلة الموقف الأدبي :ملف الأدب والسياسة (سبق ذكره)،ص22

في إمكان أية أمة أن تعزل مجتمعا بأسره وتحبس كوامنه وطاقاته في داخله، وهي التي لابد أن يأتيها يوم لتنفجر فيه، سيما الأدب الذي كان خير رسول وسفير عرّف بأمم ومجتمعات، وهوية وعادات وتقاليد وأعراف فراح، يأخذ عن غيره في سبيل التجديد ويعطي ما لديه أيضا
ولعل أهم عامل يجعل الأمم تنحصر داخل حدودها، وتضع كل حواجزها لمنع التواصل مع الغير، هي تلك الحملات الحربية المجنونة والمهووسة بضم أكبر عدد من الدول، مع طمس هويتها واقتلاعها من جذورها، وهو ما أدى بالضرورة إلى الدعوة للتمسك بالموروثات والتكاثف للمقاومة تحت لواء القوميات، والتي هي في رأيهم السبيل الأمثل والسديد للردع والمواجهة والمحافظة على قيمهم ومبادئهم القيمة، خاصة وأن الآداب التي سايرت هذه الحقب الزمنية والمستمرة إلى يومنا هذا، تفد من كل حدب وصوب ومن أمم مختلفة مطعمة ومليئة بإيديولوجيات وأفكار تخدم أغراضا معينة. لكن مع كل هذا فلا ضرر من أن تغير الأدب حلته ويساير الأساليب الجديدة، فهو إن ظل على تلك الحال لن يخرج من قوقعته ليواجه العالم ويسايره بكل ظروفه، وسيظل دائم الانحباس في ظل معتقدات وأفكار خاطئة وطاعة وهمية للمحافظة الدائمة على ما جاء في التراث، والتشبث قدر المستطاع بالجذور متصورا أنه يخدم الحياة. ونحن لا ندعوا بذلك إلى الانصهار التام، لا بل لأننا نعلم والكل يعلم مدى عواقب الذوبان في كيانات أخرى إنما ندعوا إلى الانفتاح على الحاضر والجديد ومواكبة روح العصر، لأنه ومهما ذاع صيت أدب لأمة من الأمم فإنه لا محالة يحمل لوائها ويمثلها ولا يمثل غيره، ويعبر عن موروثاتها اللّهم إلا إذا استغنت هي عن ذلك، فالآداب كلها تلتقي سيما العظيم منها كفن أو كتعبير عن مقوّمات، أو كوسيلة للتعبير عن واقع معاش، والفاصل بينها هو اللغة والهوية.
كل هذا سيخلق طبيعة جديدة للأدب إذا أردنا مسايرة الحياة وتعزيزها مع أن نعي تماما خطر الترويج للفكر بالاعتماد على الدسائس التي تعد أخطر سلاح، ولأنه وسيلة فعالة جدا للسيطرة على العقول والعواطف الإنسانية، وأسهل طريقة للتلاعب بها، ومن ثم فالخروج إلى العالم بثوب تاريخي مزركش ببصمات جديدة من الحاضر يأتي بغرض الأخذ والعطاء وإحداث توازن بينهما على أساس التفاعل الإيجابي مع تراثنا وتراث الأمم الأخرى، هذا من جانب والاستفادة

من منجزات العصر الأدبية في تخطي سلبيات التراث القديم وفق متطلبات الظروف واحتياجات المجتمع من جانب آخر.

وفي إطار آخر نجد فكرة الانفتاح، الحداثة والتجديد وكلها تعبيرات داعية إلى تخطي الحدود مرفوضة-إن صح القول- عند طائفة من الكتاب أو الأدباء،ودليلنا على ذلك ما لمسنا في قول الأستاذ الدكتور شكري محمد عياد في كتابة" الأدب في عالم متغير" حيث يقول في هذا المقام: "إن فكرة الحداثة بكل ما كلفت أصحابها من جهد دفعتهم إليه من خصومات، وما حشدوا لتأييدها من منطق، كانت فكرة تقوم على تفاؤل شديد، بل لا تخلو من سذاجة. أما التفاؤل فلأن الحضارة الغربية أبدت لأصحاب المدرسة الحديثة في صورة مثالية، فلم يلتفتوا إلى ما فيها من تناقضات، فكل شيء عندهم جديد، وكله نافع وكله سواء في أنه يمثل فكرا راقيا وحضارة انتهى إليها تقدم البشرية". إلى هنا يبدو كل شيء إيجابي على نحو ما ثم يردف هذا قائلا "وأما السذاجة فلتصور أن الأخذ طريق سهل، فهو يبدأ تقليدا ومحاكاة، ثم يستحيل التطبع طبعا، ولا تلبث أن تظهر شخصية القومية من خلال قوالب استعرناها على الغرب... وفي الوقت نفسه ظهرت سذاجة التصور القديم عن إمكان اقتباس نظم الحضارة الغربية".**(1)**

نقول نحن في هذا الصدد أنه ليس من التسليم الالتفات إلى مزايانا وموروثاتنا وآدابنا فحسب، بل أن نتطلع ونطلع عما أتى به غيرنا، وممن تفوّق علينا وأن نحاول الإسهام ولو بقدر يسير في إضفاء سمة من سماتنا التي تميزنا عنه، صحيح أن لا نهمل آدابنا وعقائدنا وسط كل هذا الزخم لأنها تمثل هوياتنا وتاريخنا، ولكن إذا لم نستعر من القوالب الفنية للغرب فهل أتى العرب بجديد؟ وإن وجد فأين هو من بين الإنجازات الغربية علما وأدبا؟ ليس الإيجاب أن نتعامل بحياء من أجل نظم ابتكرها غيرنا ونحن اتبعناها. فلطالما كانت الحضارة العربية تشكل قوى عظيمة بما يرهب الغرب، والتاريخ يشهد لها بذلك، لكنها أغبرت مع الزمن وزالت بانطلاق الغرب من بنا حضاراتهم، واستطاع أن يبني نفسه انطلاقا من غيره وبتصحيح أخطائه.

1/شكري محمد عياد: الادب في عالم متغير(سبق ذكره)ص 13-14

وإن كان رأيه سديدا فأين هي الإسهامات العربية لولا اختلاطها بالغربية؟ وإن كانوا فقط ينسجون على منوالها أو ينقدونها نقدا لاذعا، أين هي بصماتهم في الدراسات العلمية وحتى الأدبية في ميدان الحركات والتيارات الفكرية والمدارس التي راحت تخط تاريخ الآداب العالمية، وما كانت إسهاماتهم فيها إلا باهتة لولا الآداب القديمة، أتريدون أن تحاكوا القديم وتشلوا تقدمكم؟ هذا هو الركود بعينه في الآداب العربية، وهو ما جعلها تظل عقيمة إلى يومنا هذا وتأبى الاستفاقة بعظيم النتاج، وصح قول الشاعر يوم قال:

ليس الفتى من يقول كان أبي إنما الفتى من يقول ها أنا ذا

والكاتب نفسه يعود ليصرح قائلا: "...فالعالم لا يقرؤنا ونحن نعلم ذلك ونعلم أيضا في قرارة أنفسنا السبب في إعراضه: أنه حتى الآن لا يجد فيما نكتبه ما يستحق القراءة".**(1)**

إنه لمن المفترض علينا محاولة اللحاق بكامل الجد والكد وابتكار ما هو خاص بنا، إن رأينا سوءًا فيما يفد إلينا عبر مختلف القارات، وكل ذلك لا يتأتى بمنأى عن باقي الأمم والمجتمعات.

فمهما كانت التخوم بينها فإن الأدب يظل بعيدا عن كل تلك الحدود ولا يأبه بها بل يؤدي رسالته وأهدافه لأن "الأدب ليس من المخلفات البالية الباقية على قيد الحياة وإنما هو ذو طبيعة خالدة" وإنّ "وظيفة الأدب الأولى والرئيسية هي أن يكون أمينا لطبيعته".**(2)**

2/ <u>دور الأدب العالمي في ترسيخ الحوار الحضاري</u> :

قبل الولوج إلى هذا العنصر من دراستنا وجب علينا إيضاح "الحوار" وإرساء مفهومه:

- الحوار لغة: الحوار [حور] محادثة بين شخصين أو أكثر -الجدال- كل ما يتبادله الأشخاص من كلمات في رواية، مسرحية.**(3)**

1/شكري محمد عياد :سبق ذكره،ص17

2/اوستن وارين /رينيه ويليك:نظرية الادب، ت:محي الدين صبحي ،مراجعة الدكتور حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت -1987،ص32

3/المنجد الابجدي:ط08،المؤسسة الوطنية للكتاب ،دار المشرق - بيروت - لبنان - ص387

الحوار: حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح.(1)

أما الحوار الأدبي فهو: "...حوار يتسع كثيرا ليشمل التبادلات الفكرية والثقافية والابداعية والفنية" وإذا تناولناه كحوار أدبي في الحضارات الإنسانية، فإنه أيضا يشتمل على التبادلات "العلمية والدينية والعمرانية واللغوية والحضارية عموما".(2)

إن الحوار في القرون الأخيرة من هذا الزمن شكل منعرجات خطيرة وفتح العديد من أبواب الجدال والصراع، فهو لم يعد حوارا يخص شخصين اثنين أو أكثر في قصة أو رواية أو نص مسرحي فحسب، بل تعدّ ذلك إلى الأمم والمجتمعات وأصبح أبسط مفهوم له في وقتنا الحاضر احترام الرأي والرأي الآخر، و الاستفادة من وجهات النظر عبر العالم بأسره، فمع كل انعطافة تاريخية تطرح مقولة العلاقة بالآخر الحضاري خاصة وأن هذا الحوار سرّي في ظل حركة دؤوبة على مختلف الأصعدة، ثقافية كانت أم اجتماعية أم دينية أم أدبية.

ونحن على هذا الصدد سنتعقب دور الآداب العالمية في ترسيخ هذا الحوار الحضاري، وتناولنا الجانب الحضاري بدلا من الثقافي على اعتبار أن الثقافة جزء مكوّن للحضارة مع التنويه إلى أن هذا الموضوع متشعب وأوسع من بحيث يكتب عنه أو من حديث عابر ولا يمكن الإحاطة بجميع جوانبه في صفحات تبقى محدودة مهما طالت، ومع ذلك سنحاول أن نوفيه ولو بالجزء اليسير.

يقول الأستاذ الدكتور سالم المعوش في مقدمة كتابه "حوار الحضارات" نقلا عن توفيق الحكيم: "وإذا ما أبصرت شعاعا فاعلم أن وراءه كوكبا، وإذا رأيت أدبا فاعلم أن وراءه حضارة، وما من خطر يهدد الشعاع إلا انفجار الكوكب". هكذا وجدنا أنفسنا أمام إنتاج ضخم أنفق الإنسان آلاف السنين وهو يبدعه عبر كل الحضارات ومختلف العصور، فقد مرت البشرية من حكم إمبراطوريات ومماليك إلى حكم مدن وسياسات، وكان الأدب خير ناقل لأخبارها وأحوالها، حيث راح الأديب يخطها في أدب وإنتاج يحمل سماتها ويلبي حاجياتها ويسهم في تحديد المظهر

1/المعجم الوجيز الميسر: ط1،دار الكتاب الحديث الكويت،1414هـ-1993م،ص155

2/سالم المعوش:الأدب وحوار الحضارات(سبق ذكره)،ص49

الحضاري للجماعات.

"إن الأدب هو وجه الحضارة البارز، وهو الذي يتخطى حدوده ليتصل بالآداب الأخرى ويقيم حواره معها، يأخذ ويعطي حتى تتولد في الكون إشعاعات حقيقية تنير النفوس والعقول كما تنير المصائر والدروب".(1).

لقد شهد الأدب بظهور مصطلح "العالمية" المساير للحركة الرومانسية الداعية إلى إفراغ الذات في النصوص الإبداعية، إقبالا شديدا للانفتاح على آداب العالم بأسره، والواقع أن الانفتاح والدعوة إلى العالمية لم يحبذ من قبل فئات من الكتاب والأدباء المحافظين الذين تعاملوا مع هاته الوضعية الجديدة بحساسية شديدة خوفا من ذوبان الهوية في كيان آخر وهو ما جعلها تعيش هوسا حقيقيا عند دخول الآداب الأخرى إليها، وأبرز مثال لنا على ذلك هو انتهاج الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة العزلة في جميع الميادين، وحتى الأدبية منها، فقد تحفظنا على الآداب الأوروبية لأنها تعلم بأنها مطعمة بالأفكار الإيديولوجية البروتستانتية، لكن هذه السياسة لم تنجح لأن الإنسان بطبعه ميال إلى الأنس بغيره ولا يستطيع العيش بعيدا عنه، أما المثال الثاني الذي نضربه على هذا الصدد، والذي لا يخفى على إنسان فما بالك أديب تحفظ العربي من الغربي، أو تحفظ الغربي من العربي، أو كما أطلق عليه غوته "الشرق والغرب"، فهما إلى يومنا هذا يؤرقهما الصراع المستمر، فكل يتعامل مع الآخر بالحيطة والحذر الشديدين، ولعمري أن هذا التعامل كان نتيجة للحروب والصراعات التي عاشها العالم في حقب تاريخية غابرة، كما أثمرت طبقية ليس داخل البلد الواحد فحسب، بل بين مختلف بلدان العالم، وهو ما قام على أساسه شعور بالتفوق الذاتي والإحساس بدونية الآخر، وهي نظرة فوقية تسعى إلى تكريسها وترسيخها بعض الدول في أذهان الشعوب الأخرى من خلال الترويج لفكرها بالاعتماد على إمبراطوريتها.

كما لعب أدب الصورة دوره في ذلك باعتباره فكرا يتعلق بالأنماط السلوكية في حياة أمة من الأمم، خاصة أنه حقل خصب لتمظهر الأحداث التاريخية، وطريقة تفكير شعب وكيفية تعامله

1/ شكري محمد عياد - الأدب في عالم متغير، سبق ذكره، ص 42.

مع الآخر، كلها مصاغة في قوالب فنية مثيرة تغذي العقل وتمتع الإنسان، لكنها مع ذلك انتقلت عن طريق الترجمات، حاملة انطباعات أناس حمّلوها نظرتهم الشخصية، والتي كانت في غالب أحيانها عدائية تصف الشعوب بصورة حاقدة، دونية، ذات عنجهية وغرور وعليّة.

هذا ما شكل الحواجز وخلق شدة التحفظ تجاه الآخر، ودليل ذلك تجليات الجزائري في الآداب الغربية والتي ظلت لصيقة به إلى يومنا، هذا وكذا نظرة الرحالة الأديب شاتوبريان إلى الشرق وإلى مصر على وجه التحديد، وكذلك رواية "الغريب" لألبير كامو التي تحدث فيها عن الجزائر حيث "كشفت الحقيقة المخفية عنده، وهي إيديولوجية الغربة والعبث واللامبالاة والتي تشكل أركان الفلسفة الوجودية عند الكاتب... وحاول الكاتب أن يوحي بأن الأشياء إنما تحدث بالصدفة وبعبثية تامة، وهي عدم منطقية مقصودة، هدف من ورائها الكاتب إلى طرح فلسفته الوجودية، وهي من الحقائق المخفية التي تتكشف... كما سعى كامو إلى تغييب مدينة الجزائر ونفى وجودها أصلا من خلال علاقة الأسلوب بالإيديولوجية الخفية للكاتب".**(1)**

لقد كانت هذه الظروف بجملتها هي التي أغلقت سبل الحوار و رغبته، فخلقت هوة بدلا من خلق كيان مترابط يخدم الحضارات الإنسانية ويساير الرؤى المستقبلية. أما الفئة الأخرى فهي بعيدة كل البعد عن التحفظ بل تحفز إلى التعرف على الآخر، والاستكانة معه وتدعوا إلى ضرورة فتح سبل الحوار بين الأنا والآخر النقيض، ويرون في ذلك بدا من أجل التلاقح والتعاون.

لكن بالرغم من أن الشعوب بسريرتها تعيش وتتعايش مع بعضها البعض محاولة التكيف وفق مختلف الظروف، إلا أن هناك من يحاول وضع الحواجز وتعتيم الرؤى.

إن الآداب العالمية بتنوعها كانت منبرا حواريا يحق لكل الشرائح العرقية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وفتحت مراتع التآنس بين الشعوب، وسبل الاستكانة بين الأطراف المختلفة في العالم. وكان غوته المصرح بالمصطلح صاحب النظرة الثاقبة للمستقبل المثال الأمثل والأنسب لذلك "فلا ريب أن نماذج مثل الشاعر غوته الألماني تعد مفخرة الحوار الحضاري الإنساني بين

1/ الأخضر الزاوي :دراسات في الأدب المقارن(صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو ـ دراسة فنية مقارنة ـ،منشورات جامعة باتنة/الجزائر1998،ص164

الشعوب... وهو الذي جعل من أدبه وفكره مرآة لانعكاس حضارات الشعوب وثقافاتها عليها، بما جاءت به عبقريته طوال إحدى وثمانين سنة هي حياته كلها... وقد حاول غوته فيما حاوله مد الجسور بين حضارات الشعوب، وأن ينهل من معين الشرق ما استطاع إلى ذلك سبيلا... وعبر في حياته عن الكثير من المواقف الإعجابية بما لدى العرب... وكان بذلك يخط سيرة القاضي العادل في النظرة إلى حضارات الغير..."**(1)**. لقد كتب غوته العديد من المؤلفات وذاع صيتها إلى خارج الحدود الألمانية فكتب "آلام فرتر" الصادرة عام "774" والتي قذفت به أحزانها إلى أعماق الشهرة العالمية... فكانت رمزا لكل ما أراد العالم أن يراه من الانفعالات السوداء والاكتئاب والحب الحزين للطبيعة في المزاج الألماني".**(2)**

لقد عبر فيها غوته عن حدود الحلم الفسيحة، والإمكانات التي تخترقها النصوص، كما تحدث فيها عن سعي دفين للتخلص والتملص من حدود النواميس الاجتماعية الضابطة، والتي من شأنها كبح جماح الحرية الفردانية، متأثرا أي ذلك بمبادئ الرومانسية الناظرة إلى الحياة نظرة متترمة رافضة والساعية إلى إيجاد واقع نموذجي تتحقق فيه الرغبات المكبوتة.

" لقد بدأت ترجمات لا تحصى لفيرتر في فرنسا سنة 1776 وإنجلترا سنة 1779 وإيطاليا سنة 1881، وإسبانيا سنة 1803 ولم يصبح هذا الكتاب أكثر الكتب توزيعا فحسب، بل أصبح مشكلة اجتماعية جادة".**(3)**

إن مساعي غوته في إرساء العالمية بمفهومها قوبل بالرفض حيث رأى البعض أن انطواء ألمانيا تحت لواء قوميتها دفعه إلى أن يحلم خارج إطار حدوده الجغرافية، وما تطلعه إلى انفتاح الآداب على بعضها البعض إلا دربا من الخيال، لكن "بينما كان البعض يردد الشرق شرق،

1/ سالم المعوش :حوار الحضارات (سبق ذكره)،ص346

2/فريديريك فيرنرب/هنري مالون:حدود الادب المقارن(سبق ذكره)،ص346

3/المرجع نفسه:ص455

والغرب غرب ولن يلتقيا" كان غوته يعلن خطأ هذا المنطلق ليقول بعكسه:

"من يعرف نفسه وغيره

سيعرف هنا أيضا

أن الشرق والغرب

لن يفترقا أبدا

وبودي أن أتأرجح بفكر منفتح

بين هذين العالمين،

فالتحرك بين الشرق والغرب

هو الأفضل".(1)

وهذا الخير دليل داع إلى فتح سبل الحوار وآفاق التفاهم في ظل التحديات الكبرى التي يشهدها العالم والتي تبدو للكثير مخيفة وجارفة لكل الثوابت والقيم الخاصة.

هذا وقد كان لغوته منطلقات جعلته يرسي على الحوار الحضاري الإنساني ولقد لخصها الأستاذ الدكتور سالم المعوش فيما يلي:

1- السعي إلى وحدة المشاعر والفكر الإنسانيين.

2- ردم الهوة الفاصلة فيما بين الشعوب.

3- الإعتراف بالآخر كائنا كاملا يتحرك ويتقدم ويسهم وينتج ويشارك.

4- تفنيد آراء المتعصبين والمزورين الذين يقحمون المآرب الشخصية ويفضلونها على ما عداها في سبيل تحقيق مكاسب زائلة تسهم في تقويض العلاقات الإنسانية.

5- النقد والتمييز بين الخطأ والصواب في المواقف والآراء والأفكار.

6- احترام آراء الآخرين والاعتراف بإسهامهم وضرورة السماح لهم في إقامة الحوار البناء بين الحضارات.

1/ سالم المعوش:الأدب وحوار الحضارات(سبق ذكره)،ص30

7ـالاعتماد على الأصالة والفن الرفيع والإخلاص في تقويم الآثار الحياتية والفكرية والحضارية.

8- الإعجاب بتراث الشرق وفكره وحضاراته وأديانه.

9- عدم الانجرار وراء الأكاذيب والحضور الشخصي والمعاينة لدى البحث في أثر من الآثار لاسيما لدى العرب.

10- الإقبال على تعلم اللغة العربية وما حولها من علوم وما أنتجته من ثقافة وعلم وفن ودين وإبداع وأدب.(1)

حق لغوته كل ما ناله في منطلقاته التي تمد الجسور في سبيل الحوار، لا الحوار الأدبي الحضاري فحسب، بل أيضا في تقريب وجهات النظر بين أقطاب السياسة العالمية، إلا أنه أخطأ حينما تحدث عن فكرة السعي إلى وحدة الفكر والمشاعر الإنسانيين، لأنه مهما حاول إنسان التقريب في ذلك فإنه لن ينشد مبتغاه، فالحياة الإنسانية متعددة وليست في بناها السياسية والحضارية فقط بل حتى في آرائها المختلفة داخل الأمة الواحدة أو الأسرة الواحدة، أضف إلى ذلك تعدد العرقيات التي تفرض تعدد العادات والتقاليد والأديان والموروثات، إن الحوار لفكرة سديدة من خلال الأدب لكن من غير المبالغة إلى حد التوحيد في الفكر والمشاعر الإنسانيين.

إن العالم في تواصل وتفاعل مستمر بتعدد عرقياته وجنسياته وأنظمته، وليس في صراع كما وصفه صامويل هنتيغتون في كتابه "صدام الحضارات" والذي أحاطه بهالة من اللامعقول وجرده من سبل الخطاب والحوار، وكرس فيه الهيمنة الغربية التي تسيطر حسبه في نهاية المطاف على كل الشعوب والأمم، إذ يقول: "إن أكثر الصراعات انتشارا وأهمية وخطورة لن تكون بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة، أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية، ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة".(2)

1/ سالم المعوش:الأدب وحوار الحضارات(سبق ذكره)،ص357-358

2/مفتاح محمد عبد العزيز:صدام الثقافات وصراع الحضارات،دراسة سيكو سوسيولوجية تنفيذ الطباعة والنشر والتوزيع ـ دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة -2008،ص139.

وقد حدد هنتنفتون أربع آليات تتعلق بخطاب صدام الحضارات، وهي كما حددها الأستاذ الدكتور مفتاح محمد عبد العزيز في كتابه "صدام الثقافات وتفاعل الحضارات" كالتالي:

1- الديانة هي المعيار للتميز بين الحضارات.

2- حتمية صدام الحضارات.

3- الإسلام العدو الأول.

4- الحضارة تشكل كل شيء سياسي واقتصادي.**(1)**

إن هنتغتون بتصوره هذا قد كرس للهيمنة الغربية وجعل العالم في صراع أبدي ودائم بدءً من الإسلام ثم الثقافة وانتهاءً بالبنى الاقتصادية والسياسية.

إن العالم لا محالة في اتصال دائم بشعوبه و هاته الشعوب لا تأبى أن تعيش منعزلة عن الغير لا بدافع الفضول في التعرف على الآخر بل من أجل التعاون والتقارب وبناء مجتمع أفضل.

وقد نص على ذلك ديننا الحنيف "لتأكيد مبدأ التفاعل الحضاري "من الحضارات الإنسانية في هذا التنوع البشري من الأجناس والقوميات قوله تعالى: **"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين** (118)**إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**(119)**"** سورة هود (119-118).

وقوله تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن ليبلونكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" سورة المائدة الآية(48).

ولزيادة وتقوية مبدأ التفاعل الحضاري بالمعروف والمعرفة والدين قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" سورة الحجرات الآية(13)...**(2)**

1/مفتاح محمد عبد العزيز:صدام الثقافات وصراع الحضارات،(سبق ذكره)،ص139

2/المرجع السابق:ص109

إن التواصل والاتصال بين سائر الأجزاء داخل الأمة الواحدة أو خارج أطرها الجغرافية موجود من أزمنة وعقود مغرقة في جذور التاريخ لا من حيث الآداب أو العلوم أو الحضارات بل لأنها تسري في العرق الإنساني بشكل فطري وعلى اعتبار أن الإنسان اجتماعي بالسليقة.

لقد كان لكل قومية ولكل بلد أثره الثقافي الجوهري وصوته الأدبي الجمهوري الذي ألقى به على مسامع العالم في كتب خلدت اسمه وجعلته مرآة تعكس حضارة شعبه مع استلهام العبرة والاعتبار للمستقبل وهو ليس "بأية حال مجرد التغني بأمجاد الأباء والأجداد ولا الفخر على غيرنا من شعوب الأرض بمجد زال وعز أصبح في خبر كان".**(1)**

تواشجت العلاقات وترابطت عبر مر الأزمنة والعصور بين عرب وغرب وكان لها الأدب رفيق الدرب الذي لا يغفل عن شاردة منها ولا واردة، على الرغم من نظرات بعض من الكتاب والأدباء الذين مزجوا نظراتهم الخاصة تجاه الشعوب وجعلوا منها مقياسا أو بالأحرى قاعدة تميز ذاك الشعب على وجه الخصوص بميزات لا زالت تلازمه إلى يومنا هذا وهو حال الحضارة الإسلامية العربية وما لاقته من ضم وتحايل واستلاب فكري وأدبي وتاريخي، أو بالمجمل حضاري.

"لجأت أوروبا فيما لجأت إليه من أعمال لتحقيق أهدافها وأطماعها ضد العرب إلى تشويه حضارتهم وإنكار أفضالها على أوروبا وتزعم هذه الحركة فطاحل من المفكرين المستشرقين غير أن أوروبا في حقيقة الأمر أنجبت من ناحية أخرى من أبنائها المفكرين ممن اتصفوا بعلو الهمة وشرف النفس، تصدوا لهؤلاء المظللين بكل ما يحمل المفكرون الأصلاء من حب الحقيقة ذاتها، وأخذوا بكل ما أوتوا من قوة الحجة والقدرة على التعمق في البحث العلمي، يقرون الحقيقة ويدافعون عنها وينحون بالأئمة على بني جلدتهم المفترين المظللين".**(2)**

لكن هذا لا يعني أن نرى إلى الخلاف الناشئ بين العرب والغرب لأن كل منهما أخذ عن الآخر ولا يستطيع كلاهما العيش بمنأى عن غيره، أما قضية هذا الجدال والصراع فإنها شكلت هوة

1/جلال مظهر :حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي،مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار مصر للطباعة و النشر،ص07

2/المرجع السابق:ص12.

وفجوة عميقة، وأنبتت جذور الخوف والحيطة والحذر ،والإحساس بالدونية وعظمة الآخر الذي يسيطر على كل شيء بما في ذلك الثقافة، العلم، التكنولوجيا، الأدب وجميع الجوانب الحضارية.
كانت هذه نظرة سخيفة لطائفة الأدباء الذين صوروا الآخر بنظرات فردانية لا أساس لها من الصحة، فحاولوا التغير من مجرى المعطيات الحضارية والتي مهما حاولوا لن يغيروها لأنها خلدت في ذاكرة إنسانية وفي آلاف مؤلفة من المجلدات التاريخية بشهادات أجنبية وأخرى عربية.
إن الحياة الاجتماعية الإنسانية أساسها الإفادة والاستفادة و"المدنية أساسها التعاون، والتعاون أساسه القدرة على الاتصال بالآخرين".(1)
وهذا الاتصال وجب أن يكون محوره الحوار والقدرة على التأقلم مع مقتضيات العصر وإن سادته الأجواء المشحونة سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية.
إن البعد عن التحاور والتشاور وانغلاق الفكر على الحاضر وذهوله عن المستقبل وضآلة التحسس بالتحديات وتعجزنا عن التقدمية وعن خلق مجتمع مدني كوني بفتح دراعيه بكل الإبداعات الفكرية والثقافية.
فالهويات الثقافية هي مصدر ثراء متجدد للقيم الإنسانية العليا في العالم وعلينا إدراك وتدارك هذا قبل فوات الأوان لأن "تاريخ الفكر الحضاري يشهد بأنه لا توجد حضارة قامت واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها وإنما هي دائما نتجة تطور حضاري استمر وتفاعل مع حضارات أخرى تفاعلت هي بدورها مع غيرها من الحضارات وكلما ازدادت فرص الالتقاء والتفاعل بين الحضارات، فرص النمو والاكتساب والتعلم والتطور،... والازدهار الذي تشدوا به أوروبا في الوقت الحالي إنما هو حصيلة الجهود الثقافية للحضارات الكبرى التي تركت بصماتها على تاريخ البشرية... مما يعني أن الحضارة الحديثة التي نعيشها الآن عامة لا تتعلق ببلد من البلدان أو بشعب من الشعوب بل أسهم في بنائها أبناء البشرية جمعاء.

1/محمد العبد:النص والخطاب،الناشر الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،82 شارع وادي النيل - القاهرة -2005م،ص341.

كما أن غالبية أبناء البشر سواء المسلمين منهم أم المسيحيين أن اليهود وهم أبناء ديانات سماوية، والأصل في الأديان أنها رسالات حب ودعوة للسلام والرحمة والتسامح والحوار لتحقيق التقارب بين البشر والاعتراف بحق الآخر في الاختلاف وليس الصراع".**(1)**

وعلى ضوء ما تقدم نقول بأن الحوار الأدبي الحضاري ضرورة لا مفر منها وإلا فكيف تعيش البشرية على هذه المعمورة إلى وقتنا الراهن. صحيح أن السياسة والهيمنة لبلد متفوق واقتصاد مزدهر وحضارة بلغت أرقى مستوياتها عوامل تعكِّر صفوه إلا أنها كانت في أحيان كثيرة منبعا تفتقت فيه القرائح فأبدعت أبهى الأعمال وكانت هاته النتجات الأدبية خير شاهد على العصر، وخير معبر عن الإنسان والطموحات الإنسانية.

"لقد أصبح الأدب قادرا على تجاوز مرحلة الشهادة على العصر إلى مرحلة يكون الأديب فيها أكثر تطلعا إلى المستقبل من حيث الموضوعات والأفكار الاجتماعية التي يطرحها وليس من حيث موضوعاتها الفنية والجمالية فحسب. فالآداب العالمية هي لوحة فنية متماوجة الألوان الثقافية والعرقية همها الوحيد التعبير عن الإنسان والإنسانية إذ يتخالف الناس جنسا وشكلا ولونا ولقد يتفاوتون فكرا وخاطرا ولكن إيقاع وجدانهم واحد ونبضات قلوبهم متناغمة تهش للحب والرحمة والحنان ...حيث استوحى الشاعر العربي ذاك الموقف الجمالي للشاعر الأوروبي وعايش بصدق فني تجربة أخيه الوجدانية، وإذا كنت تفتقد في القصيدة الأوروبية المترجمة جمال صياغتها، وموسيقى ألفاظها فلن تفقد أبدا قوة الحس ونبض الشعور وجمال التصوير ... على أنه إذا كان الشاعر العربي استوحى الشعر الأوروبي فإن الشعر الأوروبي أيضا استوحى آداب العرب، مثلا غوته يكتب عن النبي محمد".**(2)**

1/مجلة التربية،احمد عبد المنعم الجميعي ، دور الحضارة العربية الإسلامية كنموذج لحوار الحضارات ،العدد 56 بعد المائة،الأمانة العامة للجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم - قطر - مارس 2006م،ص189.

2/مصطفى الصاوي الجويني:القصة ،الرواية، السيرة،ج2،مطبعة عصام جابر،الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية،2002م،ص05

وما أكثر توافر هذه النقطة بين الغرب والعرب ولنا في ذلك أمثلة عديدة لا تبتعد عن قرب وجهة النظر بين الناس ولاسيما الكتاب والأدباء والناطقين على ألسنة الأمم ولا نستطيع أن نقول بوحدة المشاعر الإنسانية على هذه المعمورة لأن ذلك يعد ضربًا من الخيال، وضربًا في المثالية واللامعقولية، فهاهما الشاعران "أبي القاسم الشابي "و"جون كيتس "اللذان تشابهت وقائع حياتهما الدنيوية حتى كادت أن تكون واحدة وعانيا الكثير من ويلات المرض وهو ما فتق قريحتهما أكثر، ومن غير تلاق كان رأيهما في الحياة واحد وكان يعتريهما أسا وكآبة وقنوط حيث "قضى الشابي أكثر من ثلاث سنوات يعاني من تضخم القلب أم كيتس فقد عاش الأخير من عمره يعاني من النزيف الدموي والسل".(1)

فهاهما يتحدثان عن الحياة بنقمة ويعبران عنها إذ يقول الشابي في قصيدته "الجنة الضائعة : "

ماذا جنيت من الحيـاة ومن تجارب الدهـور

غير الندامة مـن الطفولة واليأس والدمع الغزير!

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجـة والطهـور

أحيـا كما تحيـا البلابل والجداول والزهـور

واليوم أحيا مرهق الأعصاب مشبوب الشعور

تمشي على قلبي الحيـاة ويزحف الكون الكبير(2)

أما كيتس فيقول في قصيدته "إلى النوم ***To sleep***"

أيهـا المحنـط الرفيق لمنتصف الليل الثـابت

مطبـقـا بـأنـامـل العنـايـة والحنـان

عيوننا الراضية بالظلام، والمحجبة من النور

مستظلـة فـي نسيـان هنـــيء!

1/عيسى الناعوري:أدباء من الشرق والغرب،ط1،منشورات عويدات - لبنان - سوريا - نيسان/أبريل1966م،ص47

2/المرجع السابق:ص62،.....،65

يا أيها النوم المتناهي في اللطف ! إن شئت فأطبق

في وسط نشيدك هذا عينيّ الراغبتين في الانطباق

أو فانتظر النهاية –آمين -قبل أن يلق الخشخاش المنوم

حول سريري نعمة المهدئة

ثم أنفذني، وإلا أشرف اليوم العابر

على وسادتي، وأنجب لي معه هموما كثيرة

أنقذني من الضمير الشديد الفضول، الذي ما يزال يفرض

قوته على الظلام، مختبئا في حجره كالخلد

أدر المفتاح ببراعة في الإقفال المزيتة

واختم تابوت روحي الساكن(1)

لقد كان النص هو العواطف الإنسانية تجاه مرض أو ألم أو قضية أو حرب قاسما مشتركا بين سائر الأفراد والأمم والشعوب خاصة إذا عايشت أو عانت الظروف نفسها "فالحياة قصة لا تعرف بداية حلقاتها ؛ وكل نهاية لقصة هي بداية لقصة جديدة ؛ وهكذا تتشابك الحلقات والقصص مؤلفة سفرا روائيا تتكون أشكاله، وتتطبع بطوابع البيئة وسمات الشخصية، التي تشترك أو تفترق سلوكا وخلقا مما يجعل هذا الشعر الروائي معقد النسج" **(2)**

3/ <u>مقوّمات النّص العالمي</u> :

لقد تطورت الآداب بتطور حياة الأمم والمجتمعات من طور العتاقة إلى طور الحضارة والتمدن، فكما هو حال الأمم التي تتطور هو شأن الأدب كذلك سواء كان أدبا عاما أم أدبا خاصا.

ونقصد بالأدب العام كل ما يدخل في مجال الفكر الإنساني ويعتبر عن أفكار الإنسان أما الأدب الخاص فنقصد به فن القول الجميل الممثل في النصوص الشعرية والنثرية التي تتمن كلاما جميلا يستحق أن نوليه أهمية.

1/عيسى الناعوري:أدباء من الشرق والغرب (سبق ذكره)،ص47

2/مصطفى الصاوي الجويني:القصة، الرواية،السيرة(سبق ذكره)،ص05

لكن ما يهمنا هو النصوص الأدبية التي ارتقت وسمت عبر عقود التاريخ، فقد جاءت ألفاظ: الحداثة، الحضارة، العالمية والثقافات لتدعو إلى التجديد والتغيير على جميع الأصعدة الاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى الأدبية التي صارت هي الأخرى تنتهج هذا المنحى، ولا غرو أنها سارت عبر العصور بتطورات بدءً من إحياء التراث القديم والنصوص الملحمية والمسرحية إلى عصر النهضة الذي كان يحمل في ثناياه بذور التجديد والإسهامات الكبيرة للبلدان الأوروبية كإسبانيا، إيطاليا، فرنسا وإنجلترا ...إلخ، "فقد كان عصر النهضة بطبيعته عصر عالمية فكرية".**(1)**

على العموم فقد كان لزاما على هاته الآداب أن تتطور كي تساير روح العصر ومتطلباته وهو ما مثلته الزاوية بحق فقد شهدت تجديدات وتغييرات وصلت إلى تسميتها "بالرواية الجديدة " وذلك يعني أن هذا الجنس الأدبي قد تجدد.

وعدا عن كل ذلك فإن كل أمة تختزن في ذاكرتها الجماعية ثوابت تراثها البعيدة في الزمن الماضي، وكل أديب له خبرته وثقافته التي تتزاوج مع ذاكرته داخل وسطه العام، فتعطي التنوعية في الفن والأدب وكل إبداع فكري وفي أي ميدان من ميادين الحياة ونشاطها، فنتاجها متجدد، والآداب متنوعة بتنوع الأدباء ومتعددة بتعدد اللغات ومتجددة بتجدد الأيام.

والنص الأدبي كي يلج إلى الأبعاد العالمية لا بد له أن يتوفر على شروط ومن بين هذه الشروط نذكر ما يلي :

1- <u>العودة إلى الموروث</u>:

إذ لا يمكن محو التراث من النصوص الأدبية العالمية وكذا "المحافظة على أصالة الأدب المتأثر والمراد بها القدرة على التفاعل مع الآداب الخارجية والاستفادة منها والتأثر بها و الاستعارة منها بما يناسب الأدب القومي ويحتاج إليه ليغنيه ويكمله ويبعث فيه الحياة، والقوة والنماء".**(2)**

1/ فريدريك فيرنرب/هنري مالون:حدود الادب المقارن،ص123

2/محمد رمضان الجربي:الأدب المقارن،منشوراتELGA ،تم الطبع بشركة دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع،2002م،ص44.

فالنصوص القديمة لا زالت إلى يومنا هذا تستدعى لكن وفق ما يتماشى مع الزمان، لأن التراث يجب أن يدخل ضمن تفاعل حقيقي مع الحاضر، وعندما ينفصل عن الواقع يصبح مجرد لافتات لا معنى لها.

وإذا ما عدنا إلى كتاب "كليلة ودمنة"، وجدنا أنه كتاب يضم مجموعة من الخرافات الحكيمة بغرض وضعها بتصرف الملوك والأمراء(1)، وقد وضع على ألسنة البهائم والطير لتعليم الحكمة عن طريق القصص (2)".(1).

ونظرا لأهميته القصوى، وجد هذا الكتاب صداه في العالم وفي تاريخ الآداب الإنسانية الغربية والعربية على حدّ سواء، وترجم إلى عديد اللغات، (انظر النسخة المصورة عن مجلة المعرفة ص280)، كما استوحى منها القاص الفرنسي ***la fontaine*** مجموعة خرافاته المنشورة سنتي 1678م و1679م".(2).

2- محاكاة النص الفني الأدبي للواقع:

إذ لطالما "لعب فن الواقعية في الحقيقة دورا فائق الأهمية في التطور الروحي للإنسانية وفي مسيرة الفن العالمي... فقد نفذ الفن الواقعي بعمق ما لم يقدر عليه فن آخر، إلى أعمق أسرار الواقع الإنساني".(3).

إن الأدب الواقعي يجسد الصورة الصادقة، العارية من تنمية الكلام، والكاملة عن الأوضاع الاجتماعية التي تسير بخطاها المثقلة -إن صح القول- دونما توقف بالحياة القائمة على الصراع والثبوت في وجه الطغيان والاستبداد.

فعلى الأديب أن يفتح آفاقا واسعة أمامه، ولينهض بالأدب، وأن لا يجعله رهينة مجتمع، بل يجب

1/مجلة المعرفة:تأثير الأدب العربي في الآداب الأجنبية، العددان191-192كانون الثاني/ شباط1978م نقلا عن:1/بروكلمان، كليلة ودمنة(في دائرة معارف الإسلام،النسخة الفرنسية،ط2،ج4، 1975م/2/عن حنا الفاخوري،سلسلة نوابغ الفكر العربي،القاهرة1975م،ص33

2/المرجع نفسه،ص282

3/مجلة الآداب الأجنبية:المضمون التاريخي لأدب الواقعية النقدية ، تأليف س.بيتروف،العدد27،عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق - أيار 1981م،ص05.

عليه أن يحمل في طياته دافعا قويا للإحساس بالأمم وهمومها، مهما اختلف الزمان والمكان وتباينت الألسن والمشارب.

لقد "جسد الفن الواقعي كل لحظات الإنسانية ولادة الطفل... مرحلة النضج والإنتاج مرحلة الذبول، ودراما الموت، كما أعطت الواقعية تحليلا للمجتمع المعاصر من أسفله إلى أعلاه وعلى كل الصعد والمستويات الاجتماعية".(1)

3- الحرية :

إذ لا يمكن للكاتب أن يبدع نصا من دونها، كما يجب عليه أن لا يخضع للقوانين الصارمة التي يعرفها العصر، كما عليه الابتعاد عن الإيديولوجيات واللبرالية وكذا التغني بالحكام وأنظمة الحكم المستبدة طبقا لأغراض تخدم المستوى.

4- الاطلاع على العالم والإطلالة على تراثه وتاريخه:

فقد كان الأدب ولا يزال نبض الحياة، والذي من خلاله نرى العالم من أبواب وشبابيك غربية وأخرى شرقية، وهذا ما يرسم لنا لوحة ومشهدً بانوراميا يستحيل أن يسجن أو يهجن، إلا أنه يحمل البعض من آثار غيره "وهذه الدعوات تتوجه إلى الصفوة من ذوي المواهب الذين يخرجون من نطاق أدبهم تلبية لحاجاتهم الفكرية والفنية أينما وجدت، وليست صنوف التأثير الأدبية سوى بعث وتوجيه تفيد منها الصفوة من كتاب الأدب القومي، وهي بمثابة التلقيح والإخصاب للأدب، أو بمثابة بذور فنية وفكرية تستنبت في آداب غير آدابها متى تهيأ لها العصر الملائم والعوامل المساعدة، وهذا العنصر يلائم تماما مقولة النهوض بالأدب القومي خارج العزلة والانطواء.

5- كما يمكن لبعض الإبداعات الأدبية أن تمثل رغبة في قول الحقيقة: عن طريق الإبداع خاصة لما يجري في العالم من أحداث، وهو ما يفتح لها فرصا كبيرة في التقاء العالمين العربي

1/ مجلة الآداب الأجنبية:المضمون التاريخي لأدب الواقعية النقدية(سبق ذكره)،ص06

والغربي، كما تسهم الآداب في الاطلاع على الإنتاجات الأخرى التي من شأنها تكوين مرجعيات متنوعة.

فقد كان الأدب ولا يزال جنس الحياة خاصة في ميدان النثر، لأن الشعر بطبيعة الحال مهما حاول التعبير عن قضايا اجتماعية فإنه لا يرقى إلى النثر خاصة في الميدان الروائي الرحب، فهو يستوعب حتى المسرح من جوانب حياتية وتاريخية، دارت في حقب غابرة وفي عصورنا الحالية.

6- بذل جهود جدية من خلال أعمال أدبية قصد إيقاف الصراع، ومحاولة إرساء أسس مجتمع أكثر تحضرا وتمدنا، وبعيد كل البعد عن أساليب الحرب، الدسائس، تدنيس المقدسات والهمجية.

7- بعد النظر وهذا ما مثله غوته والخيام في رباعياته "التي لم تلق رواجا عن معاصريه في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي... ثم لقيت رواجا وإقبالا في القرن التاسع عشر لدى الأوروبيين، لأنها تعبير عن روح العصر، وما فيها من الصراع العنيف بين العلم والدين، فاستوحاها الشاعر الإنجليزي فتز جرالد، وتصرف فيها بالزيادة والنقصان".**(1)**

8- أن يتهيأ لهاته الآداب الجو الملائم من أجل استقبالها عبر أرجاء العالم ومسايرتها للأوضاع الاجتماعية الراهنة.

والحق أن هاته العناصر بجملتها جعلت من الأدب مسايرا للعصور إلى أن ارتقى وخرج من قوقعته إلى العالمية التي شهدت زخما كبيرا بعد تطور الحياة الإنسانية واحتكاك العالم ببعضه البعض على إثر التكنولوجيا التي فتحت أبوابا وآفاقا رحبة للتعارف والتزاوج بين الأعراف والعادات والتقاليد والمفاهيم فخلقت نوعا من الحوار الذي ألغى الحواجز وكل سبل التعتيم الحائلة دون ذلك.

1/محمد رمضان الجربي،الأدب المقارن (سبق ذكره)،ص45.

الفصـــــــــــل الثـــــــــــــانى

آفـــــاق عـــــالـمـيـــــــــــة الأدب

1- إستراتيجية الحوار.

2- تعزيز الأدب العالمي و نهاية الأدب التخوم.

3- النص النموذجي "رواية آلام فرتر" للكاتب الألماني "غوته".

آفـــــــاق عالميـــــــة الأدب:

لعل أبرز ما يتبادر إلى أذهاننا و ما يلفت انتباهنا حينما نتكلم عن آفاق عالمية الأدب، الأدب الذي يخلقه العالم الجديد، أو الأدب الذي يكتبه الأدباء و المولّدين الجدد، سماته، معالمه، كما أن أول سؤال نطرحه، هو هل تتلف آداب الماضي و تمحى، أم تواصل مسارها و الحاضر؟ بمعنى آخر هل ستستفيد أجيال الحاضر من ماضيها بما فيها الحياة الاجتماعية، التاريخية، الفكرية، الجمالية... الخ؟

إن انبثاق فكرة "عالمية الأدب" حملت في طياتها رحابة العالم بعاداته و مورثاته، من أفكار و تقاليد و أعراف و ثقافات و تاريخ شعوب و أمم قدّمت آدابها المعبّرة عن حضارتها عبر مرّ العصور، فاتخذت شكل بطاقات الهوية لها، و عدا عن ذلك فهي عل قدر كبير من التعقيد، ذلك أن الشعوب في العالم ترتبط ببعضها خاصة بالمنهج الواقعي في الفن و الأدب، يضاف إلى هذا الجانب التاريخي الذي نستقرئ من خلاله تطور العالم من جوانبه الفكرية و أنظمته السياسية و الاقتصادية الجديدة كالرأسمالية و الاشتراكية.

في عصرنا الرّاهن تضاربت الرّؤى و المفاهيم و اتسع نطاق التواصل بين العالمين إلى حدّ لا يمكن إيقافه بازدياد تطورات التكنولوجيا الحديثة، ضف إلى ذلك قوة الكتلة الغربية و محاولتها غرض رؤاها و أيديولوجياتها، و دفاع الدول الضعيفة عن هويتها قصد إبقاء حضارتها راسخة في العالم وسط عالم رحب وصراع من أجل البقاء و مكافحة الفناء، رغبة في رفع التحدي، القوة الهيمنة، من خلال كل هاته الطروحات كيف ستستقيم العلاقات بين الأمم؟ و كيف لها أن تتفاعل مع بعضها البعض، بطريقة إيجابية في ظل جوّ يسوده توتر العلاقات و سيادة سياسة العنف و طمس الهويات؟

إن كل هذا الزخم يفرض علينا الاعتماد على العقل، و القدرة على الاستيعاب، و الفهم و التأويل الصحيح و المناسب مع تحليل موضوعي و نقد معرفي إضافة إلى مد جسور الحوار الدّاعي إلى السلم و التعايش، و الاستكانة إلى الآخر وفق مناهج تحافظ على هويات الأمم، على اعتبار أن الهوية هي الأكثر عرضة للطمس و التعتيم من قبل العالمية التي نعيش على صدا عواصفها التي تقتلع، و بناها التي تعدل و تعيد تنظيم الساحة عبر أنحاء المعمورة، و في محاولة منا للتماسك أمام مجريات أحداث الحياة، وجب علينا استغلال الأوضاع الجديدة

لصالح الإنسان و البشرية برمّتها، بالاحترام المتبادل للثقافات و الهويات المختلفة باعتبارهما يحتلان الصدارة الأولى لإقامة عالم يحترم الخصوصيات التراثية، و يقدّر تعدد الرّوافد و العرقيات. لا يخفى على أحد من هاجس الخوف من الكتلة الغربية، و ما جاءت به تحت لواء العالمية و الإحساس بالدونية و الهوان و قوة الآخر" و عظمته، في ظل التراجع الحضاري، الفكري، الأدبي، و العلمي الحاد، و الفشل الذريع الذي ذاقته القوميات من انسحاق حضاري، -كما وصفت- بينما يتنامى الآخر و يسمو بتشكل هوّة عميقة، تعمل على تمليك الأقوى، و تهميش الأدنى. و كذا الشعارات التي رفعتها كوكبة من أدباء الغرب في ظل العالمية، الحداثة و العولمة، و ما هي في الحقيقة إلا ترهيب من أجل تمجيد الدّول العظمى و إخضاع المستضعف لها، و إذا ما تأملنا في ثنايا الكتب وجدناها باهتة خالية من الدّلائل. تتحدّث عن الصراع و الصّدام بين الحضارات و ذلك حسبهم: "أنّ الهوية الحضارية سيتعاظم شأنها مستقبلا ممّا يوفر أرضية خصبة لا للحوار و التضامن، و إنما للصراع و التصادم... و ستشهد هذه الألفية بحسب نظرية صدام الحضارات، مرحلة البلدان المتصدعة، و التصدع في هذا السّياق إنما هو تصدّع قيمي ناتج أساسا عن محاكاة قيادات هذه الدول للقيم الغربية، حيث أن مجلدات الحداثة المادية تتوازى في البداية مع التغريب... ، و المغلوب مولع أبدا بالاقتداء".(1).

إن ماهية هذه الشعارات ليست إلا من أجل الترويج لهيمنة حضارتها و ثقافتها ظنّا منها أنّها تنتمي إلى النخبة و الصفوة، و أنّها تحمل اتجاهات سديدة، وجب على غيرها اتباع منهجها لأنها حسبها مكبّلة بالقيود، مهدّدة في لبناتها الحضارية، الفكرية، و الثقافية، و في منظومة قيمها.

لكي نتعايش بإيجابية مع العالمية التي شملت جميع مناحي الحياة، وجب علينا أن نكون متميّزين، بداية من تفعيل قومياتها لمجابهة التحديات، و كذا أن ندخل في حوار مع الآخر،

1/مجلة الحياة الثقافية:العدد199،محور العدد الأديان والقيم الإنسانية المشتركة:فؤاد الفخفاخ،الحوار بين الحضارات الأسس النظرية والمستقبلية،تصدر عن وزارة الثقافة و المحافظة على التراث، جانفي2009م،ص43

وعلى سبيل المثال: "فإنّ الغرب قد احتفظ عن الإسلام بصورة قاتمة، ثمّة ارتباط في ذهنية الغربي و مشاعره بين الهجمات البربرية على أوروبا و الغزوات البربرية على أوروبا، و الغزوات العربية، و ما تزال هذه الأفكار حيّة في أذهان المفكرين حتى اليوم، و لم يستطع الغرب طيلة العصور الوسطى أن يفرز صورة متماسكة و صحيحة عن الإسلام، حيث صوّر الأدب الشعبي في الغرب المسلمين صورا ما تزال ماثلة في اللاشعور الجمعي للغربيين".(1).

كما يجب أن نكون مسايرين فاعلين في سيرورة أحداث المجتمع، و لا جرم أن الأدب يجسّد صورة المجتمع من مناحيه الاقتصادية و السياسية، و كذا طبيعة الحكم السائدة في بلد ما أو حقبة من الحقب، فالعالم كان و لا يزال يعايش أوضاع الأمم بصراعها و تفاعلها، حروبها و سلمها، و الأدب هو الناقل لحضاراتها. و سنتطرق فيما سيأتي إلى الآفاق التي فتحتها الآداب العالمية، مع إبراز دورها في إرساء معالم التعايش السلمي، و التعارف الحضاري، سيما و أن الإنسان يتفاعل مع غيره داخل محيطه و خارجه و بين غيره من البلدان. و"الأمّة العاجزة عن المحافظة على جوهر كينونتها و روحها الحضاري، و الدّفاع عن خصوصيّتها... أي القابلة للذوبان في أي محلول حضاري غريب عنها ليست جديرة للبقاء، و لن تجد من يأسف عليها". "عزّت السيّد أحمد".

<u>1/ إستراتيجية الحوارية:</u>

<u>الحوار:</u>

لغة: الحوار {حوّر}: محادثة بين شخصين أو أكثر **(لجدال)**، كل ما يتبادله الأشخاص في رواية، مسرحية (نص المسرحية) أي الكلمات التي يتبادلها الممثلون في الفيلم.**(2)**.

و حاوره محاورة و حوارا، حاوره و جادله و أحار الجواب: ردّه يقال تسأله فلم يحر جوابا**(3)**

1/مجلة الفكر العربي:العدد الأول ،نظام التبعية الجديد والتكامل القومي،د.بكري علاء الدين(حول كتاب أوروبا والإسلام)،تصدر عن مركز الإنماء العربي ـ طرابلس ـ الجماهيرية الليبية،كانون الثاني /يناير1980م،ص.189

2/المنجد الأبجدي(سبق ذكره):ص387

3/مجلة الحياة الثقافية:شكري بوشعالة(حوار الأديان.....حتى لايصدق هانتيغتون)،ص05.

أما اصطلاحا:

فهو يعني أن هناك اختلافا بين طرفين أو أكثر، وجب عليهما الدخول في حوار لإيجاد حلول، و يعود مفادها على الكل: كما أنّ الحوار "يعني احترام الآخر في ما هو عليه و ما يريد أن يكون... و هو قبل كل شيء ضدّ الصدامات سواء كانت لفظية، أو اتخذت أي شكل من الأشكال العدائية الفعلية، و هو محادثة بين شخصين فأكثر حول موضوع محدّد اختلفت حوله الآراء بهدف الوصول إلى الحقيقة، أو الاقتراب منها، بعيدا عن التعصب و حب الغلبة مع التوفر الرغبة في قبول الحقيقة و إن كانت مع الآخر".**(1)**

و لعل ما زاد من رواج هذا المصطلح في العديد من المناسبات و الندوات و المحافل الدولية دينية أم سياسية، فكرية أم ثقافية، هو البداية الحقيقية للقاء الطويل بين الدول و القارات عبر أنحاء المعمورة، لا سيما في بدايات القرن التاسع عشر 19 و الذي اشتدّ احتدامه بين الحضارتين الأوروبية و العربية، و كم كان لهذا اللقاء من عنف و صراعات بين الطبقات التي أدّت إلى أهليات داخل المجتمع الواحد، و بين الشعوب و الأمم، خاصة تلك التي تعدّ نفسها ضمن قائمة الدول المتصدرة لحكم العالم و طمس معالم الأقليات.

و لقد كان مرور الزمن كفيلا بأن يزيد من عمق هذه السمات، و قد جرت في خضم هذه الأحداث مساعي رامية إلى الإصلاحات التي جرت و تجري إلى يومنا هذا، و التي تحاول تعديل طبيعة فكرة العلاقات غير متكافئة و الواقع أن هذه المواقف التي يتذمر منها الشعوب و الأمم ليست في الواقع سوى جزء لا يتجزأ من طبيعة العلاقات التي فرضتها الأمم منذ الأزل.

لقد وجب علينا الاعتراف و كذا تثمين الجهود، التي تبذلها القوى و الحركات التقدمية لتبديل طبيعة العلاقات المتوترة، و إنه لمن الضروري الاعتراف بأن الطريق مازالت طويلة جدا

1/مجلة الحياة الثقافية،(سبق ذكره)، ص 50///عن ا. عبد المجيد الشرفي "تونس، اليابان حوار ثقافي "،ص34،وكذا مقال د.حراث بوعلاقي: "أسس نجاح الحوار بين الأديان" ،ص30

لتحقيق هذا الغرض، و الذي لا تتأتى أكلة إلا عن طريق الحوار بين الحضارات و الثقافات، تجنبا لإقامة الحواجز بين الأمم، بهدف الوصول إلى تفتح حضاري عالمي".**(1)**

إن وجود مثل هذه القاعدة هو الذي يستطيع أن يجعل علاقاتنا الحضارية الفكرية مع باقي دول العالم علاقات حقيقية مكافئة و مثمرة.

كما أن الحوار الأدبي في الحضارات الإنسانية... هو حوار يتسع كثيرا ليشمل التبادلات الفكرية و الثقافية و الإبداعية و الفنية و العلمية و الدينية و العمرانية و اللغوية و الحضارية عموما"**(2)**.

إذ لطالما كان العمل الفني هو المواجهة الصادقة و الجريئة بين الفئات أو الأديب و مخزون تجربته الحياتية ممثلة في الوعي المستقبلي للواقع الحضاري و انعكاساته بكل مقوماته اقتصادية، اجتماعية، نفسية و بين وعي الفنان لتأثير هذه المفردات على المشاعر الإنسانية في العلاقات اليومية و حركة العالم، هذا الأخير الذي يكون فيه الإنسان محور كل التغيرات لكونه يحاول امتلاك حريته من خلال الكشف عن تلك القوانين التي تحكم الإنسان، إن العلاقة بين مضمون النص الأدبي الإنساني الحضاري هي جزء كبير من وعي الفنان للزمان المعاش المرتبط بمكانية تاريخية تخضع لعلاقات إنسانية مشروطة.

1/ مجلة المعرفة: العدد 199 ،رجاء طايع:"الوهمي والحقيقي في حوار الحضارات"،ص170.

2/سالم المعوش: الأدب وحوار الحضارات(سبق ذكره)،ص52.

2/تعزيز الأدب العالمي ونهاية أدب التخوم:

إن كل أحداث هذا العالم بمتغيراتها أخرجت القوميات من إطار حدودها،فلم يعد هناك وجود لأمة تعيش بمعزل عن الأخرى في إطار التطورات السريعة التي تشهدها البشرية وذلك بانتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة التي جعلت من العالم صورة صغيرة فمهما كان المرء يعيش عبيدا فقد أتاحت له هذه الأخيرة كامل الفرص للمشاهدة الاطلاع والتعرف على حضارات و ثقافات الغير كما لم يكن باستطاعته التعرف على ما يريده من معرفة وما يشبعه من اطلاع على مختلف العلوم إلا عن طريق وسائل الاتصال الحديثة .

ومما لا ريب فيه انه كان للأدب نصيب من كل هذا باعتباره شريان الحياة و القلب النابض المعبر عن البشرية خارج الحدود الجغرافية و داخلها ، وعن قيم الأمم التي حمل لواءها إلى العالم اجمع ، لما عليه من أهمية و جمالية أهلته لاحتلال مكانة الصدارة من بين غيره ومثال ذلك أن :" القرن التاسع عشر يغني مرحلة جديدة في توغل الأدب العربي إلى البيئة الأدبية الأوروبية ،وقد حصل هذا الانقلاب الفكري الأدبي بفضل تأسيس الاستشراق و كتاب "**ألف ليلة وليلة**" و مترجمه وباحثه الأول "**أنطوان غالان**" الفرنسي وكأن هذا الحادث يؤكد كلمة الأديب المصري محمد تيمور أن النثر العربي قد يفوق شعر الضاد بجودة نتائجه كما أن النثر بالذات و يقصد بالضبط ألف ليلة وليلة ،جعل للعرب شهرة و أخرجهم إلى مسرح الأدب العالمي ".**(1)**

وما أتيح للأدب أيضا من جوائز قيم و تحفيزات على اثرء هذا المجال الفكري الرحب كجائزة نوبل مثلا التي تقدم لأحسن منتج وإنتاج أدبي ، وكان لها صداها الواسع بان كرمت وأوصلت إلى مسامع العالم أعظم المنجزات الأدبية العالمية، وأعظم الكتاب أمثال :**سنكلر لويس{1885-1951م}** ،**ارنست همنغواي{1898-1961م}**،**ويليم فولكنر**......وغيرهم من

1/مجلة الموقف الادبي: العدد161د.راجي بوجو فيتش: الأدب كوسيلة للتبادل والتفاهم الحضاري،ص15.

الأدباء،بعد أن "اشترط صاحبها أن"تمنح الجائزة الآداب للكاتب الذي يضع ابرز عمل ذي نزعة مثالية"(1)

ومما ساعد الآداب العالمية أيضا على البروز والخروج خارج قومياتها هو خلق لغة الحوار وفهم وجهة نظر الأخر،مهما كان جنسه ولونه.

"فالحوار أساسا هو الالتقاء حول النقاط المشتركة وتوسيعها وتعميقها،والتقريب بين نقاط الخلاف...و بعبارة اخرى الحيلولة دون ان تكون نقاط الخلاف عقبة في سبيل التفاهم المشترك"(2)

و بالتالي:"فهي دعوة إلى بلورة الأطر المناسبة للإفادة المتبادلة عن طريق الحوار"(3)

كما أنّ طبيعة مفهوم العالمية تعني العلاقات البشرية المعترفة بوجود أمم و شعوب لها هوياتها و لغاتها وتراثها تطلعاتها"(4)

وقد كانت رواية ألام فرتر لـ:للأديب الألماني الكبير يوهان غوته من بين الأعمال الإنسانية الخالدة عبر التاريخ لأنها عالجت إحدى العقبات التي تواجه البشرية(الانتحار) ،وهي تعالج كيفية تعامل فئة معينة من الناس مع سيرورة الأحداث. وهي فكرة تراود خلجات النفس الإنسانية عبر العالم بأسره.

1/ وارين فرينش،والتركيد :جائزة نوبل للآداب(سبق ذكره)،ص08.
2/مجلة شؤون عربية: العدد28،(سبق ذكره)،د.محي الدين صابر،الحضارة العربية بوصفها حضارة عالمية(البعد التاريخي واستشراف المستقبل)ص21.
3/محمد محفوظ:الإسلام، الغرب وحوار الحضارات،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت 1998م،ص59.
4/حسن الباش،صدام الحضارات،حتمية قدرية أم لوثة بشرية...؟،ط01،دار قتيبة للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت ـ لبنان -2002م،ص120

حياة الكاتب

النشأة

ولد جوته في الثامن والعشرين من أغسطس عام 1749م بمدينة فرانكفورت بألمانيا، كان والداه ميسورين الحال،

والده هو يوهان كاسبار جوته، وكان جده يعمل حائكاً أما جدته فكانت تملك فندقاً، وهو الأمر الذي جعل العائلة في سعة من العيش.

عمل والدي جوته جاهدين من أجل أن يحصل ابنهما على قدر وافر من العلم، وكان والده يرجوا أن يتبوأ ولده مناصب عالية في الدول، وبالفعل حقق جوته أملهما فتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى درس المحاماة وتخرج من كلية الحقوق، وعلى الرغم من دراسة جوته للحقوق إلا أن ميوله وعشقه كان للأدب فكان متأملاً للأشياء من حوله واصفاً لها في جمل رقيقة معبرة.

الإبحار في فكر جوته

لم يكن جوته مجرد شاعرة عاديا يسجل خواطره وأفكاره من خلال قصائده الشعرية، وكتبه الأدبية، بل مال إلى التبحر في مختلف العلوم، فأنكب دارساً العلوم والفنون المختلفة مثل الرياضة والرسم والشعر والموسيقى والتصوير، كما قام بدراسة النبات والطب والهندسة والحقوق والسياسة.

وعكف على تعلم اللغات وساعده والده في ذلك فدرس كل من اللاتينية، اليونانية، الإيطالية، الفرنسية، الإنجليزية والعبرية، كما سعى جوته نحو التعرف على ثقافات أخرى فتعمق في الأدب الشرقي وأطلع على الأدب الصيني والفارسي والعربي، بالإضافة لتعمقه في الفكر الإسلامي، ولم يكتف جوته في مجمل إطلاعه على الثقافة العربية على الشعر العربي فقط بل أطلع على كتب النحو والصرف متلهفاً وساعياً نحو المعرفة، كل هذه الأمور أهلته لان يكون شاعراً متمكن واسع الثقافة مطلع على العديد من العلوم.

نظرة في حياته

في عام 1759 وعندما كان جوته في العاشرة من عمره قام الفرنسيون باحتلال مدينة فرانكفورت، وقام أحد الضباط الفرنسيون باحتلال منزل عائلة جوته، مما ترك اثر بالغ في نفسيته، وفي سن السادسة عشر قام والده بإلحاقه بكلية الحقوق جامعة "ليبسك"، ولم تكن ميول جوته تتوافق كثيراً مع دراسة الحقوق فلم يحقق بها الكثير من النجاح فقد كان الأدب هو عشقه الأول، وعلى الرغم من ذلك أكمل دراسته بها.

وأثناء فترة دراسته بجامعة "ليبسك" جاءت أولى قصص الحب في حياة جوته فأحب فتاه عرفت باسم آنا كاترين شونكويف كانت ابنة رجل يمتلك حانة كان جوته يتردد عليها، وهناك رآها وهام بها حباً حتى انه ذكرها في العديد من قصائده الأدبية في هذه الفترة مطلقاً عليها اسم "آنيت"، ولكن لم تستمر قصة الحب هذه كثيراً فما كادت الفتاة تقابل حبه بحب مثله حتى أنصرف عنها.

وفي جامعة "ليبسك" نظم جوته العديد من القصائد والروايات الأدبية من أهمها المأساة الموسومة "بمزاج المحبين" والتي قام فيها بتوضيح الأسباب التي جعلته يترك محبوبته الأولى، ومأساة " الشركاء في الجريمة" والتي عرض فيها العادات السيئة التي كانت منتشرة في الأسر في ذلك الوقت بمدينة "ليبسك" وغيرها من باقي المدن الألمانية، وفي عام 1767م قام بنشر مجموعة من أشعاره بعنوان"آنيت. "

في عام 1768م عاد جوته إلى فرانكفورت تاركاً جامعة "ليبسك" قبل أن يتم دراسته بها نظراً لمحنة مرضية مر بها، حيث أصيب بنزيف حاد أضعفه نظراً لقيامه ببذل مجهود شاق في الدراسة، فلزم فراش المرض لفترة كبيرة، وأثناء فترة مرضه هذه قام بالإطلاع على كتب الفلسفة والسحر والتنجيم والكيمياء، وكان لإحدى صديقات والدته أثر كبير في نفسه فقد كانت سيدة متدينة، وجهت تفكير جوته نحو الروحانيات، فأصبح جوته بعد فترة من المتصوفين.

جوته في ستراسبورغ

بعد أن أسترد جوته صحته قام والده بإرساله إلى جامعة "ستراسبورج" من أجل إكمال تعليمه في الحقوق، وعلى الرغم من أن مدينة ستراسبورج كانت تحت السيطرة الفرنسية إلا أنها كانت تتمتع بالصبغة الألمانية والتي تشبعت بها روح جوتة وانعكست على أعماله بعد ذلك.

كانت كل مرحلة في حياة جوته لها أثارها وإنجازاتها ففي أثناء تواجده في ستراسبورج قام بجمع المادة اللازمة لكتابة روايته "جوتس فون برليخنجن" هذه الرواية التي حققت الكثير من الضجة عند ظهورها نظراً لكونها خرجت عن الروح السائدة عند الأدباء في هذه الفترة والتي كان الأدب الفرنسي مسيطراً عليها، واعتبرت دائرة المعارف البريطانية رواية جوته بمثابة فتح جديد في عالم الأدب الألماني، وعلى الرغم من هذا رأي عدد من النقاد أن هذه الرواية لم ترتقي إلى مستوى روايات جوته الأخرى مثل "فاوست" و"ولهلم مايستر" وغيرها وان أهميتها تأتي من كونها قد أدخلت فكر وأسلوب جديد على الأدب الألماني السائد في هذه الفترة فقط.

حصل جوته على إجازته في القانون عام 1771م، وعاد مرة أخرى إلى مسقط رأسه ليمارس مهنة المحاماة، وبعد ذلك انتقل إلي "فتزلار" وهي مقر المحاكم الإمبراطورية ومحكمة الاستئناف العليا، وذلك حتى يقوم بالتمرن على أعمال المحاماة، وأثناء ذلك تعرف جوته على الكثير القضاة ورجال السلطة، وتوطدت صلته بهم.

آلام فرتر

لهذه الرواية قصة مؤثرة في حياة جوته والتي أبدعها عقب تعرضه لمأساة غرامية، ففي "فتزلار" كان الحب الثاني في حياة جوته بانتظاره، فهناك تعرف على فتاة تدعى شارلوت، أحبها جوته كثيراً، ولكنها كانت خطيبة أحد أصدقائه، وتألم في حبه لها، فقام بتخليد هذا الحب في روايته الشهيرة "فرتر" والتي تعد واحدة من أهم روايات جوته وأكثرها انتشاراً، وعبر من خلالها عن تجربته الشخصية من خلال بطل الرواية ولكن البطل أقدم على الانتحار في النهاية، وقد حازت هذه الرواية على إعجاب الشباب وتعاطفوا مع ألم العاشق فرتر.

كانت الفترة الواقعة بين أعوام 1771 و 1775م فترة هامة في تاريخ جوته الأدبي فأنتج بها أشهر رواياته نذكر منها: "جوتس، كلافيجو، آلام فرتر، ستيلا، جوتر، واروين" والعديد من المؤلفات الأدبية الأخرى، مما جعله يرتقي سريعاً بين الأدباء الألمان، وفاقت شهرته وتجاوزت حدود ألمانيا.

1/أحمد حسن الزيات:

من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، ومؤسس مجلة الرسالة .اختير عضوا في المجامع اللغوية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وحاز على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام 1962 م في مصر.

2/ مولد الزيات ونشأته:

ولد الزيات في قرية كفر دميرة القديم بمصر في 2 إبريل 1885 م، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، تعمل بالزراعة .تلقى تعليمه في كتاب القرية، فحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، ثم أرسل إلى أحد العلماء في القرية المجاورة ليتعلم القراءات السبع وأجادها في سنة واحدة.

3/تعليمه الجامعي وعمله:

التحق الزيات بالجامع الأزهر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وظل فيه عشر سنوات، تلقى في أثنائها علوم الدين واللغة، إلا أنه كان يفضل الأدب فتعلق بدروس الشيخ سيد علي المرصفي الذي كان يدرس الأدب في الأزهر، كما حضر شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي، أحد أعلام اللغة البارزين آنذاك .والشيخ حسين المرصفى... اتصل بطه حسين، ومحمود حسن الزناتي، وكانوا يقضون أوقاتا طويلة في دار الكتب المصرية لمطالعة عيون الأدب العربي، ودواوين فحول الشعراء. لم يكمل الزيات دراسته بالأزهر وإنما التحق بالجامعة الأهلية فكان يدرس بها مساء ويعمل صباحا بالتدريس في المدارس الأهلية. التقى الزيات في عمله بالعديد من رجال الفكر والأدب في عصر النهضة، مثل: العقاد، والمازني، وأحمد زكي، ومحمد فريد أبو حديد. اختير من قبل الجامعة الأمريكية بالقاهرة رئيسا للقسم العربي بها في عام 1922 م، وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية، وكانت الدراسة بها ليلا، ومدتها ثلاث سنوات، أمضى منها سنتين في مصرا، وقضى الثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس في سنة 1925 م. في 1929 م اختير أستاذا في دار المعلمين ببغداد، فترك العمل في الجامعة الأمريكية وانتقل إلى هناك. لم ينتمي

الزيات طيلة حياته لأي حزب سياسي. ظلّ الزيات محل تقدير وموضع اهتمام حتى وفاته بالقاهرة في صباح الأربعاء الموافق 16 ربيع الأول1388 ه/12 مايو1968 عن 83 عاما.

4/مجلة الرسالة:

مقالة رئيسية:مجلة الرسالة بعد عودة الزيات من بغداد عام 1933 م ترك التدريس، وانتقل للصحافة والتأليف. وفي 18 رمضان1351 ه/15 يناير1933 م قام بإصدار مجلة الرسالة، التي صار لها أثرا قويا على الحركة الثقافية الأدبية في مصر.

5/الزيات أديبا:

يعد الزيات صاحب أسلوب خاص في الكتابة، وهو أحد أربعة عُرف كل منهم بأسلوبه المتميز وطريقته الخاصة في الصياغة والتعبير، والثلاثة الآخرون هم :مصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، والعقاد، ويقارن أحد الباحثين بينه وبين العقاد وطه حسين، فيقول: «والزيات أقوى الثلاثة أسلوبا، وأوضحهم بيانا، وأوجزهم مقالة، وأنقاهم لفظا، يُعْنى بالكلمة المهندسة، والجملة المزدوجة، وعند الكثرة الكاثرة هو أكتب كتابنا في عصرنا«

6/من مؤلفاته:

- تاريخ الأدب العربي
- في أصول الأدب
- دفاع عن البلاغة
- وحي الرسالة" وجمع فيه مقالاته وأبحاثه في مجلة الرسالة.

7/ومن أعماله المترجمة من الفرنسية:

- آلام فرتر "الجوته.
- رواية روفائيل للأديب الفرنسي لامارتين.

نبذة:

جاء خبر انتحار أحد أصدقاء جوته, بعد عودته إلى فرانكفورت هربا من حبه للوته خطيبة صديقه كيستنر. فألهمه كتابة رواية "آلام فارتر"، وجسد جوته في كلمات فرتر مشاعره تجاه حبيبته، والصراع النفسي التي عاناه، غير أنه ينهي الرواية بانتحار فارتر، هربا من آلامه النفسية بعد تحطم حبه، ويأسه المرير في الحياة مع حبيبته.
وقد كتب جوته الرواية في عدة أسابيع، وكانت كتابتها خلاصا روحيا له من يأسه وآلامه، بعد تحطم حبه. وكتبت الرواية في شكل رسائل، وقد كان هذا الشكل الأدبي جديدا في تلك الفترة.
وبعد نشر الرواية لاقت نجاحا منقطع النظير، وأحدثت ضجة أدبية ليس في ألمانيا فقط, وإنما في أوروبا كلها. وتحول النجاح الأسطوري للرواية إلى ما يشبه الحمى أو الهيستريا بين الجيل الجديد من الشباب. حتى أن بعضهم أقدم على الانتحار, انبهارا بشخصية فارتر، التي اعتبرت في تلك الفترة مثلا أعلى، يجسد مشاعر الجيل الجديد من الشباب.
وقد اعتبرت مسرحية "جوتس فون برليشينجن ذو اليد الحديدية" ورواية "آلام فارتر" نقطة بداية جديدة في تاريخ الأدب الألماني. واعتبر الأسلوب الذي استخدمه جوته فيهما, أسلوبا جديدا ارتفع بمستوى الأدب في تلك الفترة. كما صار جوته بعد هذين العملين أهم قلم أدبي في ألمانيا، ونظر إليه باعتباره عبقرية أدبية متفتحة تبشر بعصر أدبي جديد.

1 / تحليل الرواية من خلال المنهج السردي:

تعتبر رواية "آلام فرتر" من الأعمال الروائية العظيمة و الخالدة للكاتب الأديب يوهان غوته و هي رواية ذات طابع حزين جدا و هذا أنه من دون ريب راجع إلى آثار الرومانسية التي سادت في مختلف بقاع العالم آنذاك، و القارئ للوهلة الأولى يجد أن الرواية تنطلق من أسلوب سردي متميز جدا و شديد الدقة، إذ أن السرد كما يعرفه جيرار جينات "هو عرض لحدث أو سلسلة من الأحداث، واقعية أو خيالية بواسطة اللغة و خاصة اللغة المكتوبة"، إذ رأينا كيفية تموقعه من خلال سرده للأحداث و لا ريب أن المستقرئ لحياة غوته يلمس فيها تشابها كبيرا من خلال عمله الروائي السلف ذكره،" **إذ قلما عرفت الآداب العالمية و الأدب الألماني بنوع خاص شاعرا أو أديبا ترتبط أعماله و آثاره بتجربته الشخصية المعاشة، هذا الارتباط الوثيق الذي يطالعنا بصورة بارزة في كتابات غوته و إنتاجه الأدبي"(1)**

وقد جسد غوته من خلال عمله هذا مأساة شاب يدعى فرتر هرب إلى قرية ليستريح من تعب النفس وسط المناظر الطبيعية الأخاذة الجمال التي حملته إلى قراءة أشعار هوميروس دون أن ينسى سرد يومياته في شكل رسائل إلى أصدق له يدعى وليام، لكنها سعادة و راحة لم تدم طويلا خاصة بعد أن تعرف إلى تشارلوت الفتاة التي وله بحبها لكن للأسف هي كانت زوجة ألبير، ذلك الإنسان الصادق، الوفي، والمخلص و هو ما زاد الطين بلة، فكيف له أن يخون الصداقة و أن يخون الأب الذي اعتبره كفرد عائلي و الصديق الذي طالما حدثه عن حياة شار لوت، حاول فرتر الابتعاد مسافرا و اشتغل في إحدى المناصب لكن الأمر سار عكس ما يشتهي فقد نبذته الطبقة الأرستقراطية بعد أن كان أمله في صديقه الذي يتفق و إياه بعد أن أبدى له وجها آخر مناقضا للباقة و الاحترام و المودة و الصدق، عاد فرتر بعد أن ضاق ذرعا من التعب و الهوى و ظلم الناس، صادف فرتر أحداثا عديدة و لم يكن له إلا أن يعود إلى القرية لا لشيء إلا من أجل القرب من شار لوت و التودد إليها، كل يوم و كل ليلة يزداد الشوق إليها و يحترق القلب لوعة من فراقها، لم يرد سوى السكون إلى قلب يهواه هذا القلب الذي لا يملكه بل كان لسواه، سادت الأفكار السوداوية و غطت آمال فرتر أحلامه، حبه فعقد

1/بيتر بورنر:مغلف الكتاب

العزم على الانتحار وسط سكون الليل الدامس الذي أطفأ كل شعور و أخمد كل لهيب.

*اعتمد غوته على سرد الأحداث بوصف دقيق، مجسدا مراحل السرد الروائي فإذا ما عدنا إلى:

<u>1-المكان:</u> وجدنا أن أغلب الكتاب يتفقون على أن المكان يحتل أهمية مركزية في النص الروائي إذ يكتسي بأبعاد دلالية فنية، والرواية التي بين أيدينا تنطوي على قسط وافر من في هذا العنصر خاصة و أن "فرتر" كان يعيش حياة الحل و الترحال من مكان لآخر، و هو ما جعل غوته يعمد إلى الرسم و التصوير الوصفي الدقيق للأماكن التي يمر بها والتي كانت في الحقيقة ذات مدلولات نفسية و من بين الأماكن التي حظيت بهذا التصوير قرية **"ويلهم"**،ذات المناظر الطبيعية الأخاذة الجمال والتي أسرت الكاتب إذ يقول في وصف وادي القرية **"لعمرك ما أدري أأرواح ساحرة تجول في هذا الوادي، أم خيال سماوي تملك فؤادي...؟ على مقربة من هذا المكان ينبجس ينبوع عذب بتّ به مفتونا و بقربه مسحورا كأني ميلوزين و أخواتها"(1).**

و يقول في مكان آخر: **"أقلب النظر حولي فأرى ذلك الوادي الحبيب و قد غشيه من البحر سحاب مركوم، و أبصر الشمس في متوع النهار تتبدّد بلآلأها في ظلام الغابة الحالك،..... وتلك الحشرات و الهوام ذوات الأشكال المتعددة و الألوان المختلفة التي تتحدى الناظر و تعاجز المراقب، و أحس في نفسي حضور القوي القادر الذي برأنا على صورته و أمدنا بروحه و قوته، و قادنا إلى النعيم المقيم بفضله و منته." (2)**

كان وصف غوته لجمال هذا الوادي وسحره من خلال بطله فرتر يعكس صفاء النفس و الاستكانة وكذا الاستئناس بهذه المناظر الطبيعية يقول:**"أصبحت نفسي طليقة من عقال الهموم، غريقة في صفاء الهدوء، مشابهة للربيع الطلق في سكون صباحه الضاحك ،و جمال ضحاه الزاهر،...انا يا صديقي رخي البال سعيد النفس،و ان قواي وملكاتي لفانية مستغرقة في سكرة هذه الحياة الراضية المطمئنة؛......"(3)**

1/ غوته :الام فرتر،ترجمة ،احمد حسن الزيات،ص25

2/المرجع نفسه:ص24

3/المرجع نفسه:ص23

إن هذه المقاطع ذات الوصف الدقيق لمعالم الوادي وجمال الطبيعة كانت لها محمولاتها ومدلولاتها إذ تنقل القارئ من المناظر و المشاهد الطبيعية إلى المشهد النفسي لفرتر فبينما هو ينظر إلى الطبيعة يحس في الوقت ذاته براحة نفسية آتت بعد تعب فأبت أن تخرج من هذا العالم الفردوسي الخالي من زخم الحياة وصراعاتها ونكبات الإنسان فيها ،هذه الراحة آدت به إلى التأمل في الكون وقدرة الخالق يتجلى ذلك في قوله:"**تلك الحشرات و الهوام ذوات الأشكال المتعددة والألوان المختلفة التي تتحدى الناظر وتعاجز المراقب وأحس في نفسي حضورا لقوي القادر الذي برانا على صورته ، وأمدنا بروحه وقوته وقادنا إلى النعيم بفضله ومنته."**(1)

ان تلك المناظر الرائعة أخلت قلب فرتر من كل دنس فجعلت منه صفحة بيضاء مطهرة،لكن هذه النظرة ما فتئت تكتمل بظهور الرؤية السوداوية في عمل غوته بعد أن وقع بطله فرتر في حب شار لوت فكان انعكاسها ممتدا من نفسيته مسقطا على الطبيعة و الأمكنة التي كان يقصدها و نلمس ذلك في قوله:" **هكذا أمر الغد: ظلام متكاثف منتشر أمام النفس يخوض في أحشائه القلب و يظل فيه ظلال البصر في المنظر البعيد، و ينيبنا الشوق إلى الانتقال بأسرنا إليه لنحظى بالشعور الفرد و السرور المحض و العيش الرفيع، فنركب إلى الوصول إليه كل صعب ذلول حتى إذا تمثل الغد و تحقق المرجو و اقترب... ثم يعاودها الأمل فتأمل".**(2) و هو يبين هنا فلسفة الحياة، فالإنسان منذ أن يعي بعقله ما حوله فيسعى جاهدا إلى تحقيق سبيله رغم النكبات التي قد تحول دونه و دون مبتغاه لكنه مع ذلك يعاود الوقوف ليكمل سيره نحو غد مجهول

ثم يقول في ذات السياق :"**حينئذ أهيم غلى وجهي في الحقول والأودية و أجد من اللذة إن أتسلق جبلا صعب المرتقى ، أو أتيه في جوف غابة مظلة ،أو اخبط في وسط الأدغال الشواجن ،فيدمي الشجر جسمي ،....، وكم مرة قعد بي العياء والضما في الطريق فاستلقي**

1/المرجع نفسه،ص24
2/المرجع نفسه،ص51

على الحصباء، أو اجلس تحت الليل في الغابة المقفرة على جذع شجرة عوجاء،.....،والبدر في كبد السماء يتلالا فوق راسي فتأخذني عيناي في ذلك الضوء المريب فأنام نوم اللاغب القلق."(1)

لقد كانت للأمكنة التي يقصدها فرتر دلالات نفسية واضحة لم تختفي منذ بدايات الرواية إلى نهايتها، فكل مكان كان يزوره تحضره صورة شارلوت في كل مكان وفي كل شبر يقول: **"آه! ما هذه النار التي تتمشى في أعضائي كلما اتفق أن مست يدي يدها أو لمست قدمي قدمها تحت المائدة؟ ... و لكن نفسها البريئة تجهل ما تجره عليّ هذه المداعبات القليلة من الأذى و المضرة إذا تحدثت إليّ".(2)**

ثم يعود ليبرز نظرته السوداوية من خلال المكان قائلا:**" يخيّل إليّ أن قد هصرت الستور و انجابت الحجب أمام نفس فرأت مسرح الحياة الذي لا ينتهي و لا يحد قد تحول إلى حفرة ضيقة أمامي و قبر فاغرفاه إليّ".(3)**

وقبيل الانتحار عمد غوتة إلى تصوير ما يحيط ببطل روايته يقول فرتر قبل انتحاره:**"كل ما حولي هادئ ساكن ، وكذلك نفسي أمنة مطمئنة،.... ، أدنو من النافذة يا شار لوت فأرى من خلال السحب المزجاة في الجو نجوما مبعثرة تتألق في رقيع السماء .....إن في آخر المقبرة لدى الزاوية المطلة على الحقل شجرتين من شجر الزيزفون أرجو أن يشق تحتهما لحدي ويبنى في ظلالهما ضريحي." (4)**

أما المكان الذي وصفه فرتر بعد انتحاره (القبر) فقد جاء بشكل مؤثر جدا و كأن المنظر يتجسد للقارئ و هذا دلالة على إتقان الكاتب لمهارات السرد عن طريق الوصف نجليها فيما يلي:**" إذا ما تسنمت الجبل و علوت الربوة في أصيل يوم من أيام الصيف الجميلة فاذكريني و اذكري كم مرة جئت هذا الوادي ساعيا إليك ثم أرسلي طرفك إلى الجهة**

1/المرجع نفسه،ص89 و 90

2/المرجع نفسه،ص65

3//المرجع نفسه،ص 85

4/المرجع نفسه،ص179و 180

الأخرى، و صوبيه نحو المقبرة و انظري هناك تجدي ضريحي تتمايل عليه الأعشاب الطويلة في أشعة الشمس الغاربة".(1)

لقد صور غوته أمكنة مختلفة في هذه الرواية، كالكنيسة، منزل شار لوت، الأشجار، الأنهار، الغابة، و كانت كلها ذات دلالة نفسية بعيدة تتغير بتغير ميزاج النفس المسرورة ل: فرتر حينا و متعبة أحيانا أخرى، و هي نفس ميزاجية مضطربة قلقة.

2- أما الزمان: فقد كان له هو الآخر نصيبه من الرواية و هو الأمر نفسه مع باقي الأعمال الروائية لرواة آخرين، يقوم الزمان في رواية "آلام فرتر" لغوته على معطيات حدثت مسايرة للمكان و قد كتبت في فترة زمنية محددة، أوردت في شكل رسائل و يوميات إلى صديقه ويليام لذلك كان فيها تأريخ لليوم و الشهر و السنة، و لا يخفى على أحد أن هذا العمل كان نتيجة لحادثة وقعت في حياة الكاتب و قد أسلفنا ذكرها في البداية، و في كثير من الحالات قد يكون زمن الكاتب مطابقا لزمن الكتابة لأن النص الأدبي قد يتصاحب و الأحداث التي قد يعيشها الكاتب في فترة من فترات حياته، فقد عاش غوته فترة من فترات حياته أحب فيها امرأة متزوجة تدعى شارلوت، و من بين مدلولات الزمان التي عكست النظرة السوداوية التشاؤمية التي صبها على بطل روايته فرتر قوله: **"ما أشبه حالي بحال الطبيعة؟ هي تجنح الآن إلى الخريف، و أنا كذلك أرى آثاره حولي و فيّ، فتلك أوراق الشجر تتناثر و تهوى، و هذه أوراق آمالي تتساقط و تذوي"**، و قوله كذلك **"مضت ثمانية أيام و الرياح عاصفة وألفة و تلك حال تسرني و ترضيني". (2)**

ويقول أيضا:**"وعدت نفسي في الليل أن أسرها برؤية الشمس بازغة، فلما دنا الصباح لم أستطع أن أقطع العزم على ترك السرير... أنا لا أعلم يقينا لماذا أستيقظ و لماذا أرقد، لقد عدم ذلك العنصر الذي كان يبحث في نفسي الحياة و الحركة"(3).**

1/ المرجع نفسه،ص156

2/المرجع نفسه،ص120

2/المرجع نفسه،ص103

كما كان لغوته دلالات زمنية كثيرة في روايته هذه و هو حال الرسائل التي تؤرخ لليوم و السنة و الشهر و ضمن سرده للنص عمد إلى توظيف الفصول السنوية المتغيرة من الحين إلى الآخر

عمد غوته إلى استعمال زمن الماضي في روايته قصد استرجاع ذكريات من حياته قبل أن يقصد "دسكرة ويلهم"يقول: **"سأزورها و أستذكر ذلك العيش الغرير و تلك الأيام السعيدة التي قضيناها في ظلال الأمن و الشمل جامع و الحبل متصل، تلك الأيام التي مرت كحلم أو خلسة المختلس....،أديت فريضة الحج إلى مسقط رأسي بقلب الحاج الورع"(1)**،ثم يقول: **"لا أكاد أجلس في هذا المكان حتى تتمثل في خاطري ذكرى العهود الأولى عهود الحياة الأبوية"(2).**

كما استعمل الزمن الحاضر ممثلا في حياة بطله داخل القرية والمدينة التي قصدها للعمل، والأرياف المجاورة والتي راح يسرد فيها حياته مع سكانها.

لقد استلهم غوته من المناظر الطبيعية التي كانت لها دلالاتها العميقة ،و الأماكن الجغرافية ،و الفترات الزمنية المتعددة، و التقط كل كبيرة و صغيرة من خلال تصويره الدقيق و هو يسرد الأحداث اعتمد غوته في رواية أيضا على المشاهدة العينية لكل ما لاحظته الشخصية الرئيسية و المصاحبة للأحداث المعاشة ممثلة في ذكر أوصاف المناطق و أحوال سكانها و حياتهم البسيطة الهادئة و التي يسودها الصدق ،و الصفاء، و العيش الرغيد ،مستنكرا فئة من الناس.

1/ المرجع نفسه،ص113

2/ المرجع نفسه،ص25

3/الشخصيات

اتسمت الرواية بقلة شخصياتها حيث اعتمدت على ثلاث شخصيات رئيسية ممثلة في : فرتر، شارلوت،ألبير

1/فرتر: كان بطل الرواية فهو المؤرخ ليومياته التي يبعث بها إلى صديقه ، عاش طيلة الرواية من بدايتها إلى نهايتها أين اختتمت بانتحاره،شخص حساس القلب ،مرهف المشاعر، له قيمه ومبادئه استخلصها من خلال تجربته في الحياة والتي غلب عليها طابع التعب النفسي والهروب إلى أعماق إحدى القرى النائية أين يطيب له السكن و المستقر و يتوفر له الجفئ ، عاش في هذه القرية لحظات حب للأسف كانت نهايتها مأساوية حزينة أفضت في نهاية المطاف إلى الموت و الانتحار.

2/شارلوت: وهي الشخصية الثانية بعد فرتر ن كما أنها منتزعة من واقع غوته جسدها في عمل روائي خلد اسمه ، وهي في ذات الوقت فتاة أحبها فرتر بطل الرواية حبا عضيما ، بعد أن استقرت نفسه وسط دسكرة تهيأت له فيها كامل الظروف لاستقبال هذا الحب البريء،وكذا إخلاص و و فاء الصحاب بها وطيبة سريرتهم ، اثر تشارلوت في نفسية فرتر أيما تأثير وأصبحت هي مفتاح و سر وجوده ،كل هذا أفضى بوصفها بكامل صفات الجمال، الفتان ، الصدق، الطيبة ، الوفاء.....

3/ألبير : وهو الشخصية الثالثة في الرواية ،وقد كان على قمة من الأخلاق الحميدة والقيم العالية فهو الزوج المخلص ،الوفي ، القادر على توفير جل متطلبات الحياة الزوجية ، كان يقدر شارلوت ويحترمها ويجلها ، وهو حسبه الزوج الملائم لها ، والذي يستطيع أن يتولى أمر أسرتها ، إنسان كان وقاره سببا في احترام فرتر له ،ولم يسمح للخيانة أن تقع حائلا بينهما .

4/أما باقي الشخصيات: فقد كانت ثانوية كإخوة شارلوت، أهل القرية، القسيس وزوجته،صديقه،.....كلها شخصيات كانت تحيي العمل الروائي ، وتنمي سير الأحداث ، وكنا نستخلص منها في كل مرة العبر التي خرج بها فرتر من خلال تجربته هذه و نظرته إلى الناس فوق هذه المعمورة.

4/اللغة:

و على هذا المستوى استعمل غوته لغة بسيطة حينا و فصيحة في بعض من الأحيان قوله" دسكرة، الجوسق، نزيّة..." و هي ليست كثيرة فقد عمد إلى توظيف البساطة بتناغم و انسجام ليس فيها خلل أو تباعد أو هزل في البناء، و هو ما يتطلبه النص الروائي فلا هو بالأسلوب الرّكيك و لا هو بالأسلوب الفصيح البليغ، و قد أحسن غوته اختيار الألفاظ المعبرة و الموحية في كثير من الأحيان خاصة منها ما يعبر عن الحالة النفسية لفرتر التي تفرح و تهدأ تارة ثم تعود لتنتكس مرة أخرى من جرّاء حب كانت نهايته الانتحار في سبيل تقديس الصداقة.

5/الأسلوب:

جاء أسلوب الرواية معبرا عن عاطفة صادقة تنم عن الإخلاص و الوفاء ،إذ صعب على فرتر خيانة ثقة أناس أحبوه و أحاطوه بالصدق و الوفاء بدأ من والد شارلوت أو من ألبير الذي كان يعلم ما في كنه قراراته لكنه لم يكن يبدي انزعاجا م ذلك لما فيه من مواصفات الحلم و الوقار.

كما أنها في ذات الوقت تعبر عن شخصية الكاتب و موقفه من الوجود و قد كان عمله هذا صورة صادقة مجتثة من واقع معاش مرتبط بثقافة و متغيرات و ذوق فني شغل حيّزا في حياة الأديب، سيما أن غوته كان من الملمين و المطلعين على ثقافات الغير، عنى كثيرا بالترجمة تعلم مختلف اللغات و قد انعكس هذا على عمله و نستشف ذلك خاصة من خلال نشأته الدينية، و هو يورد لنا ديانات مثل "الحاج" و هي كلمة دالة على الإسلام "العبري" و هي كلمة مستنبطة من الديانة اليهودية، إن بدايات غوته في الكتابة ة الاطلاع في سن مبكرة كان نتيجتها التمرس على الأساليب الفنية للكتابة و تطويعها وفق ما يتماشى مع أحداث الرواية.

و الملاحظ على أن الأسلوب الغالب على الرواية هو أسلوب الوصف الدقيق الذي يقوم على المشاهدة التي تتجسد في ذهن القارئ و كأنه يعيش داخل أحداثها.

كان هناك وصف دقيق في مظهريها المادي، الحسي و هو ما شاهدناه على طول بداية الرواية ليخدم نصه و تطور الأحداث فيه ،و قد كان غرض هذا الوصف استراحة للقارئ

يسلو إليها من أجل الفسحة، و الاسترخاء ،و شدّ النفس لمتابعة السرد و من أجل إضفاء لمسة جمالية عل مكان الوصف.

و لشد ما لفت انتباهي في هذه الرواية هو الخيال الخصب، و الملكة التي جسدت لنا هذا العمل الأدبي الذي تخطى حدود القومية و المحلية ليتوج ضمن جمهرة الأعمال العالمية المحالة على الواقع.

2 /قراءة في الرواية:

رواية ألام فرتر ل: غوته من أهم الروايات التي خلدت عبر الآداب الإنسانية العالمية عامة و الألمانية خاصة،و هي رواية تحدثت عن لوعة شاب وله بفتاة فكانت نهاية مآله الانتحار و الكاتب من منطلق هذه الرواية عالج فكرة الانتحار التي قد تنتاب أي شخص في هذه الحياة ،فبعد أن يضيق الإنسان ذرعا بآلامها و جراحها تكون هذه الفكرة كحل للخلاص من عقال الهموم.

والكاتب هنا لم يعالج فقط قصة الحب بين الشابين وهي الدراسة التي شغلت العديد من الصفحات و أسالت الكثير من الحبر في صددها وكأنه لم يكن فيها من شيء غير هذا الجانب - وهو أمر طبيعي في حياة الإنسان - بل إن المتصفح للرواية يجد في طياتها موضوعات أخرى من بينها الطبقية التي كانت تكسوها نظرته السوداوية تجاه الحياة فلما قصد العمل في السفارة تعرض إلى الاهانة من قبل الصديق الذي استكنت إليه روحه فإذا به يسقط القناع عن وجهه الأخر و هو الأمر الذي لم يكن متوقعا وسط حشد من الحضور و كلهم من ذوي المناصب العليا في المجتمع ،أما هو فلم يكن سوى إنسان بسيط بينهم لا يتقلد أي مكانة أو وسام، فحسبه**"أن قيمة المرء تتعلق بما يعمله وعظمة المنصب فيمن يشغله ،كما أن الأقدار لا تقاس بالرتب ما دمنا نرى ذوي المناصب و المراتب لا يقومون في الأكثر إلا بالأعمال الوضيعة"**ليجيب بعد ذلك قائلا:**"إن ارفع هؤلاء على ما أرى من كان أبعدهم في المشكلات نظرا، وأثقبهم في الملمات فكرا ،و أقدرهم على أن يستعمل بحوله وحيلته قوى الآخرين وأهواءهم في تنفيذ أغراضه و تحقيق مقاصده."(1)**

تلك هي الطبقات التي لاتهمها سوى الرسميات والمناصب الثقيلة في كيانات هذا العالم. والطبقية طبعا لم تكن منحصرة في امة دون سواها بل كان سريانها دائبا عبر بقاع المعمورة ،وليس في فترة زمنية دون سواها بل عبر كل المراحل الإنسانية ولا تزال حية وليدة إلى يومنا هذا.

1/ الام فرتر:ص102

والملاحظ لهذه الرواية يرى فيها الاطلاع الواسع،والقريحة الفياضة الملمة بآداب الشعوب الأخرى ودياناتها هنا بجدر بنا التنويه الى الثقافة الدينية لدى غوته، ويعود هذا الاهتمام الى **"عهد الشباب اين اعتكف على الدرس والمطالعة و تعلم اللغات ،حيث اطلع على الكتب المقدسة وقراها بتمعن الى درجة انه اتقن اللغة العبرية و ترجم بعض الايات من التوراة.."(1)**

لكن أكثر مما جنح اليه الكاتب هو تأثره بالديانة الإسلامية وهذا نتيجة احتكاكه بالمشرق وتجلى ذلك خاصة في ديوانه **"الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"** والرواية التي بين أيدينا بيّنت لنا ذلك من خلال البطل فرتر الذي يؤمن بالله وقدرته في خلق الكون ،غير أنه تخالف معها حين أنهاها بالانتحار الذي لا يعد من السمات الإسلامية ولا يمت لها بصلة .إلا أن معظم الدراسات شككت في هذه النقطة بالذات فمنهم من يرى بان غوتة لم يسلم وهناك من قال بأنه أشهر به في أخريات أيام حياته.

والرواية من حيث الشكل موضوعية جدا تدهشنا باتصالها بشخص مؤلفها لأن حياته هي حياة بطله، وكأن أحداث الرواية ووقائع حياته وجهان لحقيقة واحدة ،حيث لا يمكن ان نفرق بين الإنسان غوته الذي أراد تصحيح أخطاء المجتمع و حمل ألام عصره على كتفه من خلال بطله فرتر الذي كان يتحلى بالصفات المثالية المشتملة على الإخلاص، الوفاء،والأمانة،كما انه نبذ الطبقات الارستقراطية التي تنبذ الناس وتعاملهم معاملة الإذلال والهوان.دون أن ينسى التطرق إلى الحديث عن سر الوجود الإنساني - المصاغة وفق فلسفة الوجود لدى الفيلسوف غوته - وكذا الحديث عن سر الخلق النابع من طول التامل في مكنونات الكون،وعلى العموم فهي رؤية تهتم بالوجود الانساني،أي انها عنت بمشكلات تتعلق بحياته(الانسان) ك:القلق، الموت ،المعاناة ،الفشل، البحث عن السعادة،وهي محاولة منه لانتشاله من واقع مفروض عليه الى واقع جديد يكون هو مبدعه وصانعه.

---

1 /التواصل الأدبي:مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد، غوته والثقافة العربية ، عمار رجال، العدد الثالث، جامعة باجي مختار/عنابة(الجزائر)،ديسمبر 2008 ،ص30

كما أن الرواية تعتمد على خلق نغمة جمالية من خلال طريقة سرد وتسلسلا أحداثها،سهلة التبيين بأسلوبها الواحد المستمر،بناء الرواية متلازم الأجزاء ،كما أننا نحس بحياة الرواية و كأننا نعيشها . و لقد كان المغزى من هذا العمل تناقض العالم والوجود من خلال كل ما هو مفروض يحد من حريته (الإنسان) ويحول دون سيرورة حياته ، فرأى في الانتحار خلاصا من الظروف القاهرة ،وهي فكرة غير مقبولة في رأيي خاصة وإن فيها دعوة صريحة الى الإقبال على قراءتها و الاستئناس بها وقتما ضاقت الأحوال .

هنا سرعان ما يدرك الإنسان وهم هذا العالم فيشعر بالغربة تجاهه ويطرح تساؤلات أهمها: هل تستحق الحياة حقا أن نعيشها ؟ فينضوي أمامه الشعور بالانتحار فيتغلغل بداخله في الوقت الذي يشعر فيه بفراغ روحي ، ثم تضاف إلى ذلك إنسانية الإنسان التي تظهر فيما بعد من خلال تصرفات و حركات تحيل إلى مغادرة هذا العالم.هذا و قد برر غوته موقفه من الانتحار بتجربة بطله الذي لا يتفق مع النظم والقوانين الاجتماعية ببساطة فصعب على ميزاجه المرهف الحساس الاندماج داخل مجتمع لا يتماشى وإياه ،وكان يعتقد ان هذا هو الأسلوب البسيط للسلوك الإنساني المتوقع من الهيكل الاجتماعي المنظر ،ونتيجة لكل ذلك فان المآل هو الموت.

من هنا نجد أن الرواية تسليم لتجربة فردية خالصة تجلت ليس في عمله هذا فحسب، كما أن عمله هذا تعزيز لمضمون **"أن المجتمع غير قادر على فهم السلوك الإنساني"** فالحياة الواقعية كان لها دورها الكبير في كبح جماح الرغبة في الحصول على قسط من السعادة التي يحاول أي إنسان نشدانها.

الخاتمة:

هكذا يصل بنا المطاف الى النهاية المحتومة ،فكل بداية لها نهاية ، وبهذا أكون قد إستوفيت جميع عناصر البحث و التي إستخلصت منها النتائج الآتية :

- القومية و العالمية مفهومان متكاملان يتصل كل منهما بالآخر و يغديه .
- أن الأداب كانت على مر العصور الوسيط بين مختلف الحضارات و الشعوب ، يتمازج فيها التاريخ بالمجتمع ، كما أنها تمثل موضوعات إنسانية حيوية دائمة : الحياة الموت ، العدالة و الظلم ، الحرية و العبودية ، وهي مشكلات فلسفية لازمت الإنسان على مر الظهور .
- كما أن الآداب القومية ليس في وسعها أن تتبوء مكانة عليا إلا إذا أسمعت صداها إلى العالم ، و رسخت إستقلالها لتعزيز مقوماتها و إرواء الحاجات الإنسانية المشروعة .
- كما على الكاتب أن يكون أديبا مثقفا بشكل عام ، ملما ، مطلعا ، متحرر العقل من قيود وسلطة القوميات .
- ضف إلى ذلك أن الآداب التي يريد من خلالها الكتاب الولج إلى مصاف العالمية أن تكون مبتعدة أشد البعد عن الإيديولوجيات ذات الدسائس ، و نقصد بذلك الكاتب الذي صار يعنى بمستلزمات الدول الحديثة ، و الذي يجسد من خلال آماله قضايا تخدم وجهات سياسية معينة تميزها النظرة العدائية تجاه منحى او تيار أو بلد معين .
- كما أن المفاهيم المعاصرة الجديدة مثل : العولمة ، العالمية ، الحداثة ،.....و التي تعيش كلها ضمن التيارات الفكرية و السياسية، أثرت على الآدباء بشكل كبير و ذلك أن الأمم تعيش ضمن قوى فعالة و شرسة و تصارع من أجل بقائها و طموحاتها في ظل الإمبريالية و الأمركة .
- الإنتقاء السليم بينما هو جيد ،وما هو ردئ .
- الآداب العالمية ليست فقط تلك التي تهتم بالإنسان في لج و غياهب المجتمعات بل التي تهتم بجماليات النص أيضا .
- خلقت هذه الآداب لغة الحوار بغرض إرساء دعائم ترقى و تليق فعلا بإنسانية الإنسان ، شريطة أن يكون حوارها مفتوحا داعيّة إلى التعايش السلمي .
- مواجهة تحديات العصر الراهن ، و الإنغماس في قضاياه عالمية كانت أم قومية .
- الإبداع بعيدا عن الشهرة فهناك من الكتاب من يحاول قدر المستطاع الكتابة من أجل نيل الشهرة أكثر مما يريد خدمة الإنسانية .
- إنّ الأعمال الإنسانية لا تفرق بين الجنسيات، وإنما هي إثبات قدرات ومهارات من خلال اداب تفيد وتستفيد من تراث وثقافات الحضارات العالمية .
- كما أنّ فكرة العالمية الأدبية كانت سديدة بأن أتت أكلها على مختلف الصعد السياسية , الاجتماعية ،والفكرية، والعقائدية ،وخلقت لغة الحوار والتفاهم ،وجسدتها على أرض

الواقع , وعرفت الأنا بالآخر النقيض - و إن بينتها في بعض الأحيان بصورة سلبية مجحفة- .

❖ ستضل الآداب العالمية راسخة بإستلهامها من واقع التعايش الإنساني التاريخي (على مر السنين) ، وكذا المفاعلات اليومية للفئات الأدبية التي تخط خطوط الفكر بمواقفها المؤيدة تارة و المعارضة الرافضة تارة أخرى ، في ظل حوار مفتوح له مردوداته الإيجابية .

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع:

1- أبو خلدون ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- لبنان الطبعة الثانية تموز/ يوليو 1985.

2- الزاوي الأخضر: دراسات في الأدب المقارن (صورة مدينة الجزائر العاصمة في الزاوية العربية الجزائرية بعد الإسلامية و عند البيركامو، دراسة فنية مقارنة) ، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1998م.

3- بول فان تيفم:الأدب المقارن، ترجمة: مصباح الحسامي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

4- بيتر بورنر: غوته سلسلة أعلام الفكر العالمي المعاصر، ترجمة أسعد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت- لبنان- شباط فبراير 1975

5- جلال مظهر: حضارة الإسلام و أثرها في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، دار مصر للطباعة.

6- حسام الخطيب: ملامح في الأدب و الثقافة و اللغة، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي 1997م.

7- حسن الباش: صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية....؟، دار فنية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 2002م.

8- دانييل هنري باجو: الأدب العام المقارن، ترجمة غسان التسيد، مطبعة اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1997م.

9- رنيه ويليك، أوستن و ارين: نظرية الأدب، الترجمة: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت -1987م.

10- رامي فواز المحمودي أحمد: النقد الحديث و الأدب المقارن، دار الحامد للنشر و التوزيع- عمان- الأردن-2007م.

11-سالم المعوش: الأدب و حوار الحضارات (المنهج، المصطلح و النماذج)، الطبعة الأولى، منشورات دار النهضة العربية – بيروت – لبنان 2007م.

12- طه ندا: الأدب المقارن ، منشورات دار النهضة العربية بيروت – لبنان .

13- عبده عبود : الأدب المقارن مشكلات و آفاق ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق 1999م.

14- عيسى الناعوري: أدباء من الشرق و الغرب - منشورات عويدات (لبنان – سوريا) الطبعة الأولى نيسان أفريل 1966م.

15- علاء زهير الرواشدة: العولمة و المجتمع، دار الحامد للنشر و التوزيع عمان الأردن، 2007م.

16- غويار ماريوس فرانسو: الأدب المقارن ترجمة الدكتور محمد غلاب مراجعة الدكتور عبد الحليم محمود – لجنة البيان العربي 1986، إشراف إدارة الثقافة العامة بمصر.

17/غوته: ألام فرتر،ترجمة احمد حسن الزيات،ط10،الناشر عالم الكتب - القاهرة - 1968م

18- فيرنرب فريدريك و ديفيد هنري مالون: حدود الأدب المقارن، ترجمة عبد الحكيم حسان.

19- محمد العبد: (النص والخطاب، الناشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، 82 شارع وادي النيل، القاهرة. 2005م.

10- محمد رمضان الجربي: الأدب المقارن، تم الطبع بشركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع2002م.

21- محمد عبد العزيز مفتاح: صدام الثقافات و تفاعل الحضارات، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع- مصر القاهرة 2008م.

22- محمد عياد شكري: الأدب في عالم متغير، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر و التوزيع و النشر و التوزيع 1971م.

23- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، أكتوبر 2004م.

24- محمد محفوظ: الإسلام، الغرب و حوار المستقبل، الناشر المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 1998م.

25- مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العربي العالمي(الشعر)، الجزء الثاني، مطبعة عصام جابر، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية 2002م.

26- مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العربي العالمي(القصة، الزاوية، السيرة)، الجزء الثالث 2002م.

27- وارين فرينش و والتركيد:جائزة نوبل للآداب، دراسة عن الأدباء الفائزين، تعريب اميل خليل بيدس، منشورات دار آفاق الجديدة- بيروت.

المجلات:

1- مجلة الآداب الأجنبية: العدد 27، السنة الثامنة مجلة فصلية تصدر إتحاد الكتاب العرب – دمشق-1981م.

2- مجلة التربية : العدد 65 بعد المائة، الأمانة العامة للجنة الوطنية القطرية للتربية و الثقافة و العلوم السنة الخامسة و الثلاثون ، دولة قطر – الدوحة مارس 2006م.

3- مجلة التواصل الأدبي: العدد الثالث، مجلة نصف سنوية محكمة تعني بقضايا الأدب و النقد، تصدر عن مخبر الأدب العام و المقارن – جامعة باجي مختار (عنابة، الجزائر) ديسمبر 2008م.

4- مجلة الحياة الثقافية: محور العدد الأديان و القيم الإنسانية المشتركة العدد 199، تصدر عن وزارة الثقافة و المحافظة على التراث – تونس – جانفي2009م.

5- مجلة شؤون عربية: ملف العرب و أوربا و محور الحضارات العدد 28، تصدرها وحدة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية / حزيران- يونيو 1983م.

6- مجلة الفكر العربي: نظام التبعية الجديد العدد الأول، السنة الثانية تصدر عن معهد الإنهاء العربي – طرابلس – الجماهيرية الليبية – يناير 1980م.

7- مجلة عالم الفكر (الأدب المقارن)، المجلد الحادي عشر، العدد الثالث، تصدر عن وزارة الإعلام ، الكويت، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر- 1980م.

8- مجلة الموقف الأدبي: عدد 161 مجلة أدبية شهرية يصدرها إتحاد الكتاب العرب دمشق ، أيلول 1984م.

9- مجلة الموقف الأدبي: عدد 171 مجلة أدبية شهرية يصدرها إتحاد الكتاب العرب دمشق ، السنة الخامسة 1985م.

10- مجلة المعرفة العددان 192/191 ، تأثير الأدب العربي في الأدب الأجنبية ،تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي،يناير /فبراير1978م.

المعاجم:

1/المنجد الأبجدي: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط8، بيروت – لبنان – دار المشرق، 1990م.

2/المعجم الوجيز(الميسر):ط1، الكويت، دار الكتاب الحديث 1993م.

المواقع الالكترونية:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D9%88%D9%87%D8%A7%D9%86_%D9%81%D9%88%D9%84%D9%81%D8%BA%D8%A7%D9%86%D8%BA_%D9%81%D9%88%D9%86_%D8%BA%D9%88%D8%AA%D9%87

الفهرس: